7me Année No. 306 — Lundi - 15 - 5 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٠٦ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٥ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٥ مايو سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــرس

بمناسبة الأربعين

حزن المليك الطفل



هذا اليوم هو الأربعون لمصرع الملك الشهيد غازي الأول. واليوم الأربعون هو في عرف الناس أو الناسين آخر الخطوات في تشييع الحي للميت! فهل آن للجوانح الحرار أن تبرد على سلوان ابن فيصل ونسيان أبي فيصل؟! كل حي إلى حين؛ وكل ذكرى إلى نسيان؛ وكل أثر إلى طُموس؛ ولكن أمثال غازي من ملوك الأرض وشباب الملوك وأزيان الشباب هم ملء السمع والبصر والقلب والتاريخ، فلا يملك الدهر أن يمحو ما لهم في صحيفة الخلود من ذكر وأثر. وإذا استحال على الزمن أن ينسى دولة العراق، استحال على العراق أن ينسى أسرة فيصل. لأن أسرة فيصل

هي الأساس المكين لبنيان العراق الحديث: قام على جهادها استقلاله، وورفت على ريّ دمائها ظلاله ، وسارت على نور هداها نهضته

* * *

كان الملك فيصل الأول برد الله بالرحمة ثراه، مثال الرجولة العليا التي يتيحها القدر الدليل لإحداث ثورة وإنشاء دولة وإقامة عرش . وكان هو وصحبه البهاليل من أبطال الثورة العربيــة رموز الحيوية الثائرة والخبرة القادرة والإرادة الحكيمة . جاهدوا حتى تحرر الوطن ، ونادوا حتى استيقظ المجد ، وأسسوا حتى بنى الشباب . ثم قضى وقضوا شهداء في سبيل العراق الخالد ، ولا تزال أرواحهم الطاهرة تشرق في جوه ، ودماؤهم الزكية تعبق في صعيده

وكان الملك غازى الأول سقى الله بالرضوان ضريحه ، قائد الجيل الذى نشأ معه على قوادم الصقر القرشى الجبار ؛ فكان من طبعه الموروث ـ مهما أبطأ نمو الريش أو أرعد عليه الأفق ـ أن يرتفع بشعبه الطموح الناهض . وكان بشبابه الفينان الواعد عنوان الأمل المعقود على فتوة العروبة فى توثيق العقدة وتحقيق الوحدة . ثم كان بأريحيته العربية وسماحته الهاشمية نموذج الحكم الرضىّ الرفيق الذى تسود فى عهده الشورى ، ويخصب فى ظله الفكر، وتعزّ فى كنفه الديمقراطية . فلما صرعه القدر هذه الصرعة القاسية ارفضّ لهولها صبر الشباب والكهول من العرب ، لأنه كان فى رأى هؤلاء سر الماضى وذكرى يقظته ، وكان فى نظر أولئك رجاء المستقبل وروح نهضته

نعم كان فيصل الرجل، وكان غازى الشاب! وما آلم الإخبارَ بالكون الناقص عن الكون التام ! ولقد كان الظن بالأيام أن تبقى على فرع الحسين النابت على دجلة حتى يستغيل ويتشعب ؛ ولكن أعاصير الخطوب كانت أقوى من منى القلوب وأصدق من أحاديث الأنفس ؛ فلم يبق من أرومة فيصل الحرة إلا غُصَيْنة غضّة النبات تميل حزينة على الجذع المحطم ، كما تهوّم الزهرة الوحيدة على القبر الموحش !

* * *

وا رحمتا للوليد المليك ! كان له بالأمس صديق لا يخلق الله من نوعه غير واحد لكل واحد . وكان هذا الصديق يقبس نورعينه من نوره ، وسرور قلبه من سروره ، وغبطة حياته من غبطته ؛ ثم لا يرى وجوده كاملاً إلا به ، ولا عيشه سعيداً إلا معه . فهما متلازمان كطيفى الجمال والحب ، يتجولان يداً فى يد بين رياض القصر ، أو يتنزهان جنباً إلى جنب فى أرباض المدينة ، ويوزعان هنا وهناك البسمات الحلوة والتحيات الطيبة على حواشى الطريق أو فى مماشى الحديقة، ثم يعودان إلى الأسرة الملكية بالرخاء الطلق والأنس الشامل ، فتشرق غرفاتُ القصر السعيد بسناً باهر من جلال الملك ، وجمال الطفولة ، وعطف الأبوة ، وحنان الأمومة ، وأمان القدرة ، وضمان الغد بالسطوة والثروة والولد !

وارحمتا للمليك الطفل ! أصبح اليوم وحيداً فى القصر المظلم والعراق الحزين كأنه بصّة الأمل فى القلب اليائس ، أو ومضة المنارة فى البحر المضطرب ! ينظر فلا يرى الوجه المتهلل الذى كان يهش له ، ويصغى فلا يسمع الصوت الحنون الذى كان يهتف به ، ويمشى فلا يجد اليد الرفيقة التى كانت تمسكه ، ويسأل فلا يجد اللسان الحلو الذى كان يجيبه ، ويجلس على المائدة فلا يرى الفم الباسم الذى كان ينادمه !

أين أبي يا أماه ؟ لقد خرج فى الصباح من غير أن يسلم على وليده، ولم يعُد فى المساء ليقبّل وجنة وحيده !

أين ملكى يا خالاه ؟ لقد اختفت السيارة والموكب ، وذهب الأمناء والحرس ، وغاب الوزراء والقادة ! مالى لا أرى الناس إلا من وراء السواد؟ وما لهم لا ينظرون إلىّ إلا من خلال الدموع؟ فهل غيبة أبى هذه الفترة القصيرة تجعل الناس غير الناس ، والدنيا غير الدنيا ؟

ثم وقف المليك الطفل ساهم الوجه حالم النظر، يسأل فلا يجاب، ويفكر فلا يدرك، ويبحث فلا يجد، وينتظر فلا يأتى ، حتى أعياه الأمر فاستسلم لشواغل الطفولة ، واستنام لوعود الحاشية ، وراح ينشد أنسه الوقتى فى صحبة خاله، ريثما يعود إليه أنسه الدائم بعودة أبيه!

ولكن أربعين صباحاً وأربعين مساء مضت ثقيلة الأطراف موحشة العشايا مظلمة البُكَر ، والصديق لما يعد إلى الصديق ، والوالد لما يتسأل عن الولد ! واستيقظ فيصل الصغير الكبير من نومه القلق وحلمه المزعج ، فوجد ظهره يبهظه عبء فادح ، وجبينه يعلوه تاج ثقيل ؛ وأبصر حواليه فوجد مهده الذى كان ينام فيه قد عظم حتى عاد عرشاً ، وقصره الذى كان يلعب به قد اتسع حتى أصبح وطناً ، وأباه الذى كان ينتظره قد تمدد حتى صار أمّة !

احمد حسن الزيات

ابن الشـــارع ...

للدكتور محمد البهى

بائع الصحف ...

وبائع « اليانصيب » ...

والذى يقفز إلى « الترام » أو إلى « الأوتوبيس » ليقدم لك بضاعته التى لا تساوى كذا ... ملحا ...

والمتسول الملح فى سؤاله ...

وحامل صندوق « الورنيش » الذى يزعج المار والجالس بصوت فرجونه وترديد ندائه ...

وجامع أعقاب السجاير ...

و ... و ... أبناء الشارع

الشارع إذاً معرض لكثير من الحرف والمهن، وسوق لعدد وفير من العارضين بضاعتهم التى إذا قوِّمت فلا تقوَّم إلا بثمن زهيد ، يعرضونها فى إلحاح ومذلة ، ولكن فى صبر وجَلد

ما الذى حمل هؤلاء على أن يدفعوا بأنفسهم فى هذا السبيل ؟ سؤال يلقيه على نفسه من يحضر لمصر للتنزه أو لدرس حالتها الاجتماعية ، ويلقيه كذلك المصرى دقيق الملاحظة . هل حملهم على اعتساف هذه الطريق الربح من غير تعب ؟ لا أظن ذلك ، إذ أن التعب شـديد والربح ضئيل ، وبعبارة اقتصادية العمل كثير شاق والإنتاج قليل الأثر . أى شىء إذاً ؟ ألميل إلى « حفظ البقاء ؟ » وهو – كما يقول علماء النفس – أساس كل الميول الفطرية أو أساس لكل التصرفات النفسية غير الإرادية .

ربما يكون ذلك باعثاً لهم على السعى لجلب القوت فحسب . ولكن لماذا تحتم أن يكون الشارع ميدان الكفاح ؟

هذه ظاهرة اجتماعية مزدوجة : تنم أولاً عن شدة الحاجة من جانب « ابن الشارع » واستباحته الطرق والميادين العامة ومركبات النقل وإزعاج الراجل والراكب كوسائل لسد هذه الحاجة ودفعها، وثانياً عن مقدار الرعاية من جانب الحكومة لأفراد الأمة، أو عن مقدار اتجاهها نحو المصلحة الشعبية وبعدها أو قربها من النفعة الشخصية

كثير من الناس يلوم « ابن الشارع » ويزجره لأنه فى نظره قد انتهك حرمات الغير بإزعاجه ، وأساء استخدام المنافع العامة التى يجب أن تبقى مصونة من العبث

وكثير من الناس كذلك تدفعه العاطفة الإنسانية أو الرابطة الأخوية ، رابطة الدم والوطن ، إلى إجابة « السائل » أو مساعدة « جامع أعقاب السجاير » أو على الأقل إلى تأثره لحال « ابن الشارع » على العموم غير ناظر إلى ما يأتيه من أعمال لا تتناسب مع مظهر الجماعة المهذبة من البشر ، بل بالعكس هو لا يرى فيها جرماً اجتماعياً ولا خلقياً من جانب فاعلها لأنه مرغم على فعلها ، وليس من مرغم له – فى نظره – غير حكومته .

فليست غاية الحكومة – فى رأى هذا الأخير – فرض الضرائب وجمعها ، ثم توزيع ما جمع منها على جماعة من أفراد الأمة ، وهى طائفة من الموظفين كان المبدأ الحزبى أو العصبية والمحسوبية أساس اختيارها ؛ لأن هذا معناه استغلال فئة خاصة لثروة الشعب من طريق هو أميل إلى الخداع منه إلى تعويضه عن ذلك بعمل إيجابى. وإنما غاية كل حكومة رعاية المصلحة العامة وضمانها لكل فرد سبل العيش بتنظيمها ثروة الأمة ، وإنتاج الشعب ، ولها مقابل ذلك طاعته لما تفرضه عليه من قوانين أو التزامات ، وعلى مقدار تهذيبها للفرد وعنايتها به تكون درجة إنتاجه الذى هو جزء من الإنتاج الشعبى العام .

رأيان إذاً فى تكييف هذه الظاهرة الاجتماعية وشرحها ، وبينهما فرق كبير. فابن الشارع إما مذنب فى نظر العرف الاجتماعى أو على حسب مقياس أخلاق الجماعة ، وإما برىء لأنه بعمله هذا قد استخدم حقه الطبيعى ، وهو رعاية نفسه بنفسه حفظاً لبقائه بعد تحلله من رابطة الجماعة تحللاً نفسياً، لأنه شعر ووقر فى نفسه كذلك عدم فائدة تلك الرابطة له . فليس ما يأتيه إذاً من إزعاج الغير وتجاوز الغاية المعروفة من الطرقات والميادين العامة منكراً ؛ وإن جاز أن يعده قانون الجماعة منكراً ، ولكنه أصبح لا يعترف به .

قد يكون هذا شرحاً لتلك الظاهرة من الوجهة الخلقية . وهو أيضاً له أثره فى الناحيـة القانونية . فالذى يرى براءة ابن الشارع هذا لا يعترف نفسياً بعقوبة القانون الذى يحاكمه على مباشرته لعمله « الطبيعى » وإن كان يتقبلها على أنها ظلم حل به.

وعلى ممر الأيام سيعتقد بما آمن به بعض قدماء الإغريق من أن « القانون الوضعى جعل لرعاية المصالح الذاتية ، مصالح الولاة والحكام ، مصالح الأقلية القوية الحاكمة ضد الرعية التى هى أكثرية ضعيفة » . وإذاً فعقاب « ابن الشارع » على ما يأتيه مما ظاهره منكر من جانب واحد وهو جانب العرف الاجتماعى اضطهاد لوجوده أوهو عمل على فنائه

ولكن هل هذا هو مايشعر به حقاً ابن الشارع أو المنتصر له الذى يعطف عليه ويشجعه بشرائه منه أو تصدقه عليه ؟ قد يكون ؛ ويغلب أن يكون ذلك لأنك لو سألت ابن الشارع لماذا لا تعمل عملاً منتجاً أكثر وأحسن من هذا لأجابك على الفور : أين ؟ وأى شىء هو ؟

وما دام يسيطر عليه مثل هذا الشعور فقلما يكون منه احترام للقانون العام الذى هو قانون الجماعة ، وقلما يعرف حرمة لعلاقته بغيره ، وقلما يميز بين « مشروع وغير مشروع » حتى تشعره الحكومة بالرعاية وتعترف بوجوده وتعبد له طرق الحياة الشريفة .

ولعل من يلوم ابن الشارع على عمله يلومه لأنه يرى أن حكومة الدولة لم تدخر وسعاً فى تعميم تلك « الرعاية » فأنشأت الملاجئ للمعوزين ، والمستعمرات الزراعية للأطفال المتشردين ، ثم منعت التسول ، ثم نظم صاحب السعادة محافظ العاصمة الشاذلى باشا ، بائعى الصحف (واليانصيب) بتميزهم بقمصان زرقاء أو صفراء . . الخ

والواقع أنَ التدابير التى تتخذها حكومتنا فى معالجة المسائل الاجتماعية ليست مبنية على أساس ، لأن الذى يحملها على ذلك إما التقليد غير الموفق ، أو التأثر الوقتى لأمر ما ، وغالباً تكون الدعاية الحزبية . ولن تأتى « تدابير » رعاية ابن الشارع بثمرة ما دامت الحكومة لا تأخذ بمبدإ التدخل فى تنظيم الاستغلال والإشراف على الإنتاج العام .

وسيظل ابن الشارع غير مجزم فى نظر نفسه ؛ وسيظل تضرر الغير به ما دام يباشر عمله ؛ وسيستمر هو فى مباشرته حتماً حفظاً لوجوده وتلبية لغريزة حفظ البقاء .

محمد البهى
دكتوراه فى الفلسفة وعلم النفس من جامعات ألمانيا

من برجنا العاجى

من المسئول عن فتور الحركة الأدبية الملحوظ فى مصر ؟ لا ينبغى أولاً أن نعلل ذلك بالحوادث الدولية ، فإن الفتور كان دائماً موجوداً فى جونا الأدبى قبل أن تنشأ هذه الظروف . ثم إن المشاكل السياسية وتأثيرها فى النفوس والشعوب لم تحل فى أوربا دون اهتمام الناس بشؤون الفكر وعناية الجمهور بالكتب والأدب . فما زالت الصحف الأدبية تتحدث هناك عن ظهور الكتب الجديدة والأدباء الجدد بعين الحماسة التى تتحدث بها فى كل زمان . وما زالت المسابقات الأدبية والجوائز السنوية تهز الناس وتثير نشاط الكتاب كما تفعل فى كل حين فأحداث السياسة مهما عظم خطرها لا يمكن أن تشل فى أى بلد متحضر حركة الفكر والفن فيها . فالأمة الراقية شأنها شأن الإنسان الحى مهما عرضت له من الحوادث فإن رأسه دائماً هو الرأس اليقظ الذى لا ينى عن التفكير

إذن ما بال هذا الرأس فى بلدنا نائماً ؟ وما بال الناس لا يشعرون أن فى مصر أدباً يتحرك ويتطور ، وأن فيها أدباء يعملون وينتجون ؟ ما يكاد يمضى شهر حتى تخرج المطابع كتباً فى الشعر والنثر . وما يكاد يمر يوم حتى يجيئنى البريد بكتاب جديد أو بديوان شعر جديد . كم من الأدباء الجدد والكتاب الناشئين يخرجون عندنا فى كل عام أعمالاً جديرة بالكلام ؛ بل كم من الأدباء الناضجين ينشرون آراء خليقة بالمناقشة ؛ ولكن كل شىء يمر فى فتور كأنها نسمات فى مدينة الأموات . ما العلة ؟ العلة بسيطة . ما من أحد فى هذا البلد يبدو عليه التحمس الملتهب لشئون الفكر والأدب . إن علة الفتور هى الأدباء أنفسهم . إنهم فى ميدان الأدب أقل نشاطاً منهم فى ميدان السياسة مثلاً . إنهم يكتبون فى الأدب وكأنهم ناعسون . إن أقلامهم لا تثير فى جو الفكر حراكا . وهنا الفرق بين أدبائنا وأدباء أوربا . إنهم هناك فى يقظة أدبية ، ومن كان فى يقظة استطاع أن يوقظ الآخرين .

توفيق الحكيم

طريق علاج المشكلة

وبعد ... يا أيها الأغنياء ؟!

للأستاذ علي الطنطاوي

ألم يأنِ لكم أن تخشع قلوبكم ، وتلين أفئدتكم ؟ أَقُدّت من حجر ؟ إن آيات (الزيات) البيّنات تلين الحجر ، فما لقلوبكم ما رقت ولا لانت ؟ ألا تكلفون نفوسكم تحريك أجفانكم وفتح عيونكم لتروا صرعى البؤس ، وضحايا الفاقة ، ماثلين لكم في كل سبيل ، فتأخذكم بهم رحمة الإنسان ، وتعرو قلوبكم لهم رقّة المؤمن ؟ إني لأحاول أن أفهم كيف تزينون لأنفسكم حالكم ، وتبررون إهمالكم ، فلا أستطيع ... لا أستطيع أن أتخيّل كيف يهنأ صاحب القصر بطعامه وشرابه ، وكيف يدلل صبيته ويضاحك عياله ، وعلى عتبة قصره ، وتحت شبابيكه ، صبية مثلهم برءاء ما جنوا ذنباً ، أطهار ما كسبت أيديهم جريرة ، يبكون من الجوع ويشتهون قطعة من الرغيف الذي يلقيه الغني لكلبه السمين ، يتمنون ويتمنى آباؤهم قرشاً من الجنيه الذي يرميه الغني في الهاوية الخضراء التي يسمونها (مائدة القمار) أو يذيبه في كأس السمّ التي يدعونها (الشمبانيا) ثم يخرج جنيهاً غيره بعد لحظة ليتبعه الأول ، ويتبع به عشرات ... يتمنون هذا القرش الواحد ليعيشوا به يوماً ، ويملأوا به بطونهم خبزاً ، فكيف تضنون على الإنسان المسكين بالقرش ، وتنفقون الألوف على الشيطان ، وعلى خراب الأبدان والأوطان والأديان ؟

إننا نقرأ في الصحف من أنباء أوربة وأميركة أن لأغنياء القوم مآثر وعطايا ، ولهم في كل مكرمة السهم الراجح والقدح المعلّى ، ونسمع أن فيهم من يعطي العطيّة وهو مستتر مستحٍ لا يحب أن يدعى باسمه ، وإنما يتسمى من التواضع والحياء بـ(فاعل الخير) ... فما لأغنيائنا الذين يقلدونهم في عيوبهم ومثالبهم ، لا يتشبهون بهم في مزاياهم وفعالهم ؟ وما لأغنيائنا دون أهل الأرض قد اختصوا (بفضيلة ...) الترفع عن الفقراء ، والتعالي على أبناء هذه الأمة التي منها انحدروا وبفضلها عاشوا ، وإنكارها إنكاراً ظنوا معه أنهم من طينة غير طينتها ، وأن الله صنعهم من الأسمنت حين صنع البشر من الطين ، وأنهم أبناء ماء السماء والناس بنو (ماء الأرض ... ؟)

أ كانت علّة ذلك أنهم شرقيون ، وكان السبب هذا الشرق المظلوم ، المتهم بكل نقيصة ؟

قد يقول ذلك المفتونون بالغرب من ضعاف الأحلام ومرضى العقول ، في حين أن الكرم والإيثار بضاعة شرقية ، من الشرق قد صدرت ... ولقد بلغ بالعرب حبّ الكرم مبلغ الإفراط ، وزاد حتى كاد ينقلب نومة يؤخذون بها ، فكيف يستقيم في المنطق (مع هذا) أن يكون هؤلاء الأغنياء بخلاء لأنهم شرقيون ، أو لأنهم عرب ؟ وهذه عادات العرب ، وهذا دينهم هو القانون الأوحد الذي يحلّ مشكلة الغني والفقير ، والذي يردّ عن العالم هذا الوحش الكاسر الذي جاء يحتويه بين فكيه اللذين هما الشيوعية والفردية ، ويدعه أثراً من الآثار ، فكيف تظهر مشكلة الغني والفقير في البلد الذي يدين أهله بهذا الدين ؟

* * *

لا . ليست الشرقية علّة هذه المشكلة ، ولكن العلّة كفر هؤلاء القوم بالشرقية ودينها وعاداتها كفراً لا يصلح معه تنبيه ولا بيان ، وإنما يصلحه أن ينشأ أبناء هؤلاء الأغنياء الأشحّة على الخير ، الأسخياء على الشر ، نشأة أخرى ينقلبون معها ناساً آخرين ، ولا يكون ذلك إلا بالمدارس والأدب . ولقد كان عندي في إحدى مدارس دمشق فصل (صف) فيه أبناء أفقر الفقراء ، وأبناء أغنى الأغنياء ، وكانوا في الفصل منفصلين ... كأنهم في معسكرين ، وكان هؤلاء يأتون إلى المدرسة بالسيارات ويوصلهم إلى بابها الخدم يحملون كتبهم كيلا تتعب بها أيديهم الناعمة ، ويدخلون الفصل مزهوين بثيابهم الجديدة ، وأولئك ينظرون محسورين ملوعين . فما زلت (والله) بهم أبيّن لهم أن الفضل بالعلم والخلق والجد لا بالمال والثياب والمظاهر ، وأضرب لهم الأمثلة بعمر وعلي وابن عبد العزيز ولنكولن والشيخ طاهر ، وأنزل بالأغنياء لأعلمهم فضيلة التواضع ، وأرتفع بأولئك لألقنهم فضيلة العزّة ، حتى صار بنو الأغنياء يستحيون أن يأتوا بالسيارات ويتوارون حياء وخجلاً إذا جاءتهم عند منصرف التلاميذ لتحملهم إلى دورهم وقد كانوا لا يستحيون ولا يخجلون . وكانت النتيجة أن المعسكرين قد انقلبا إخواناً متصافين وظهر في كليهما تلاميذ نابغون ما كانوا لينبغوا أبداً لولا أن ألقوا من نفوسهم مذلة الفقر وكبرياء الغنى واستبدلوها بعزة الكرامة وعظمة التواضع !

فيا ليت أن المدرسين ينتبهون جميعاً إلى هذا الأمر فيسدون إلى الأمة يداً ويكسبون من الله أجراً ، فإنه لا شيء أشد على نفس الفقير من أن يتحكم فيه أو يسمو عليه ابن الغنى . وأنا (قد) أحمل ما أرى من صلف الغنى وأوهم نفسى أنه قد كسب ماله بيده وجده فحق له أن يستمتع بثمرته ، أما أن أرى الصلف من ابنه فلا ... فيا أيها الأغنياء لا تحملوا أبناءكم على رقاب الناس ، فإنكم لا تدرون كم عدواً تكسبون لهم ، وماذا تفسدون من طبائعهم حين تأبون إلا أن تدللوهم هذا الدلال ، وترفعوا بهم إلى حيث تبلغ أيديكم وأموالكم ، وحين تمكنونهم من أولئك الذين ساقهم الفقر إليكم ، واضطرهم فكانوا لكم خولاً أو أجراء ، فيشمخون عليهم بآنافهم الصغيرة ويذيقونهم ألوان الأذى ، والطفل (فى الطبع) لا يعرف الرحمة ، ولا يدرى ما العقل فكيف وهو ابن الغنى قد ورث القسوة وتطبع عليها وقلد فيها أباه ؟ وإنا لنرى نحن المدرسين من ذلك العجب ... هذا تلميذ يأخذ كل يوم من أبيه ما يقيم أود أسرة من هذه الأسر الجائعة فلا ينفقه إلا فى الشر ، والمال يذهب من حيث أتى ... رأيته يضنّ على رفيق له فقير بقرش يقرضه إياه قرضاً ليشترى به رغيفاً يتغدى به ، ويشترى بسبعة عشر قرشاً فرنيّة (كاتو) يطعمها على مرأى منه لكلب له صغير مدلل يسوقه معه إلى باب المدرسة ثم يعود به الخادم فى السيارة . وأبوه الغنى يسمع بهذا فلا ينكره ولا يأباه . كأن الله قد خلق الناس بقلوب، وخلق هؤلاء بجيوب، فأبدلهم بالعواطف المال ، فهم لا يحسون ولا يشعرون ولا يدركون أن الله ما نقص من مال الفقير إلا ليتخذ له فى الآخرة إن صبر ذخراً ، ولا زاد فى مال الغنى إلا لينظر أأعطى وشكر ، أم بخل واستكبر ، ثم لا يكون الغنى إلا خازناً لهذا المال يحاسب به يوم القيامة فيشدد عليه الحساب . أفرأيت خازناً فى مصرف أو شركة يظن أن المال ماله ، فيخالف فيه أمر أصحابه ، ويمنعه عمن هو حق لهم ؟

المال أيها الأغنياء مال الله فإن زاد لم يمكن إنفاقه إلا على الخلق (عيال الله) ، فأرونى كيف تأكلون الذهب ، وتلبسون (البنكنوت) ، وتسكنون صناديق الحديد ؟ إن هى إلا معدة تمتلئ بما يقذف فيها والجوع لها خير أدام ، وجسد يستقر بما يلقى عليه والنظافة له أحسن حلية ، وبيت يكن من الحر والقر، ولذائذ محللة ميسورة ، وما وراء هذا إلا أكل يفسد الهضم ، أو زنا يهد الجسم ، وخمر تحرق الأحشاء ، وبلايا معها بلايا أخرى من عذاب الضمير والغفلة وضياع الإيمان ، أو مآثر تنفع الناس، وترضى الله، ويجد صاحبها مكافأتها الاطمئنان والمجد فى الدنيا ، والثواب من الله فى الآخرة ، وهذه حكمة واحدة من حكم الله فى الغنى والفقر لو تدبرتموها لفتحت آذانكم فسمعتم كلمة الحق ، وكشفت الغشاوة عن عيونكم فقرأتم فى خلق الله وفى كتابه آيات الهدى ، ولكن اللذاذات قد شغلتكم يا أيها الأغنياء الأغبياء !

* * *

على أنه ليس أشدّ على الفقراء من منع الغنى المترف صاحب الأطيان والمتاجر وبخله وصلفه وتبذيره ... إلا الموظف الكبير الذى ينال وهو قاعد على كرسيّه لا عمل له إلا تشريف أوراق الدولة بتوقيعه الكريم فينال الثمرة التى يتعب فيها الفلاحون ، يجدون ويشتغلون فى وقدة الضحى تحت الشمس المسعرة ، وفى زمهرير الليل تحت النجوم التى ترتجف أشعتها من البرد ، ليقدموا لهذا الموظف الكبير ثمن سيارته التى يسوقها ابنه خلال الحقول تياهاً مستكبراً ، وقصره الذى يلوح بين بيوت القرية كالجبار العابس الباسر ، وثمن كأسه المحرّمة ولذته المنكرة ، ويذهبون فيأكلون خبز الشعير وينامون على الحصير . هذا الموظف الذى لا يكفيه وحده ما يدفعه أربعون من صغار (المكلفين) تباع فرشهم من تحتهم وقدورهم وثيابهم لتؤدى من تحتها الضريبة . هذا الموظف يستعلى ويستكبر ويقبض يده عن الإحسان ويبسطها فى سبل السوء ، ويتشبه بأولئك الأغنياء الأغبياء وقد يسبقهم فى ذلك أشواطاً ، ومن كان فى شك مما أقول فليذهب إلى القرى والدساكر

ولسنا والله شيوعيين ولا يرانا الله ندعو إلى هذه اللعنة (الحمراء) ولا نؤلب الناس بعضهم على بعض ، ولكنا ندعو إلى (الشعور) الذى لا يكون الإنسان إلا به إنساناً ، والإحسان هو شعبة من شعب الدين الإسلامى . . . فمن اختار من الأغنياء وأرباب المرتبات الضخام ألاّ يكون إنساناً ولا مسلماً فليفعل !

على أن ما قلنا ليس إلا صدى لمقالات الأستاذ الزيات التى تتجاوب اليوم أصداؤها فى البلاد العربية ، وفى الذى يقول الزيات بلاغ وزيادة

«بغداد — الأعظمية» **على الطنطاوى**

الفلسفة الصغرى للحياة

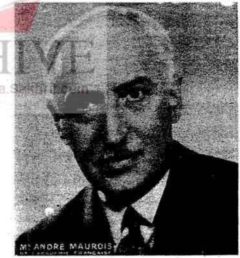
١ – كيف ينبغي أن نعمل ؟

للكاتب الفرنسى أندريه موروا

ترجمة الأستاذ صلاح الدين المنجد

هذه أولى خمس محاضرات ألقاها ثلاثة شهور خلت ، الكاتب الاجتماعى الكبير « أندريه موروا » عضو المجمع العلمى الفرنسى ، جلا فيها على القراء فن العمل ، والتفكير والحب ، والزعامة ؛ وبين فى إحدى المحاضرات كيف نبقى سعداء ناعمى البال ، إذا خلا الشباب واشتعل الرأس شيبا

وقد نقلنا هذه المحاضرات إلى العربية لما لاقته من إعجاب ، ولما فيها من آراء ذات شأن (المنجد)



هل علينا من حرج إن ذكرنا ما يقوله المعجم عن « العمل » فناقشناه وبينا النقص الذى فيه ؟ ... فإن حديثنا هذا ربما ملك علينا أمرنا فدفعنا إلى الإفاضة فيه . يقول المعجم : « العمل هو إنفاق جهد متعب لإتمام شىء » . ولكن هذا التعريف ناقص غير واف ، فلم يكون الجهد متعباً ؟ ... لندع المعجم إلى أربابه ولنضرب الأمثال : هذا صانع جرار يعمد إلى قطعة من صلصال فيسويها شكلاً يريده ويرضاه . وهذا حارث يشق الأرض ويذللها للزرع ، فلا تلبث أن تهتز وتنبت الخيرات . وهذا كاتب قصصى يخلق كائنات يخلع عليها من عبقريته وخياله جمالاً ، ثم ينضح فيها من روحه سحراً ... مستمداً عناصرها من البيئة التى تحيط به فتملأ سمعه وبصره ، فيأتى بأثر رائع لا يفنيه الحدثان

فالعمل – كما أعتقد – هو تسليط قليل من التبديل والتحوير على العناصر التى نأخذها عن الطبيعة ؛ مما يجعلها أكثر فائدة وأشد جمالاً . وهو كذلك دراسة القوانين التى يخضع لها ذلك التبديل ، وتبيان حدوده ومداه

ولقد عرّف « باكون » العمل عند ما عرّف الفن ، فهو يقول : الفن هو الطبيعة مضافة إلى الرجل ؛ أى هو ما نأخذه من الطبيعة ، وما نضيف إليه من أشياء ، يظهر فيها أثر تفكيرنا وعبقريتنا . والحق أن كل عمل يجب أن يكون فنًّا

وسأذكر بادىء الأمر القوانين التى لها صلة بكل عمل ، ثم أفصل أحكام عمل الصانع اليدوى ، وعمل المرأة فى منزلها ، والطالب فى مدرسته ، والفنان فى مصنعه ، والكاتب فى مكتبه .

* * *

وعلى الرغم من وفرة الأعمال وتعددها ، فإن هناك قوانين تصلح لها كلها . فاختيار العمل الذى نجد فى أنفسنا قدرة عليه وحباً له ، هو أول ما يجب أن نفكر فيه . فإن قوة المرء وذكاءه محدودان لا يتسعان إلا إلى مدى . والمرء الذى يريد أن يقوم بكل عمل لا يتقن شيئاً . ألا تنظرون إلى أولئك الذين أوتوا مواهب شتى ؟ يقول أحدهم : لو أنى عانيت الموسيقى لحذقتها . ولو أنى عالجت السياسة لسار ذكرى واستفاضت شهرتى . فكل عمل هيّن لدىّ . إنهم يكونون من هواة الموسيقى لا من غواتها ... ومن المفلسين فى التجارة لا الرابحين منها ... ومن الفاشلين فى السياسة لا الناجحين . لقد كان يقول نابليون : إن فن الحرب يوجب أن يكون المرء قوياً كأشد ما تكون القوة ، فى مضمار واحد . وأنا أقول إن فن العيش يوجب أن يستهدف المرء فى هذه الدنيا أمراً ، فلا يزال يوجه إليه قواه ، ويسخر له مواهبه حتى يظفر به . ولذا كان خطأ أن ندع للأقدار دائماً مصير عملنا فى الحياة . فالحياة جهاد ونضال ، ومن لم يعدّ نفسه لها فقد باء بفشل عظيم ... يجب أن يسائل الرجل نفسه فيقول لها :

ترى أى عمل أستطيع أن أكون له كفؤاً ؟ . أنظر إلى ميولك ومواهبك، ثم فكر طويلاً، فى نفسك، وفى أبنائك ؛ فإذا كان لديك ولد ذو بأس شديد وقوة ، فأرسله إلى الجيش ، ودرّبه على الطيران ، لأنه لا يصلح لأن يكون رئيس ديوان .

فإذا اختار المرء مهنة رضى عنها ... فإنه واجد فيها أموراً لابد من أن ينتخب منها أمراً واحداً، ترضاه نفسه ، ويقبله هواه . فالكاتب لا يستطيع أن يبدع الأقاصيص أو الروايات كلها، والسياسى لا يستطيع إدارة الوزارات جميعها . . . والمسافر يعجز عن اجتياز الأرض من شمالها إلى جنوبها . ولابد لنا من أن نكون فى بعض الأحايين صمّاً لما تهمس به أهواؤنا فى خاطرنا . . . فتسيطر على إرادتنا وتدفعنا إلى تنفيذ شىء . فكّر طويلاً ، وقدّر كثيراً ، فلديك الوقت المتسع ، ولديك التفكير ، وكن كقائد الجند الذى يقضى على كل شغب بكلمة واحدة يلفظ بها أمام جنوده . . . فيستمعون إليه وينفذون أمره . نفذ أمر إرادتك كما ينفّذ الجند أمر قائدهم ، وقل لنفسك : ما عسى أن أصنع فى عامى هذا ؟ . أأصلح للامتحان ؟ أأطوف فى البلاد . . ؟ أأعمل فى مصنع ؟ . . فكّر طويلاً ، وناقش آراءك نقاشاً هادئاً فى زمن محدّد ؛ واجعل لنقاشك نتيجة ترجع إليها ، وتمضى فى سبيلها ، فإن التردد قاتل ، والهوى مخيف

فإذا اطمأن الرجل إلى عمله ... فَلْيَثبُت له ، وليضع حيال ناظريه ما يستهدفه فى سيره البعيد وهو واثق بأنه سيبلغ القمة يوماً ، وإن عظم الجهد ، أو طالت الطريق ، لأن أول كل صغير كبير ...

لقد جاء « ليوتى » إلى مراكش ، فوجد بلاداً عاث فيها الساسة ، لا رئيس ولا ذخيرة ولا مال . ولو أن من أتى إليها كان غير « ليوتى » لدب الرعب فى قلبه ، وسيطر اليأس على نفسه . ولكنه كان ليوتى العظيم . لقد بدأ بالمدن فجمع كلمتها ، ووحّد صفوفها ، وسخرها لما يشاء بما يشاء . ثم انتقل إلى البادية ، فمازال يؤلف كلمة كل قبيلة ، ويسيطر على كل نزعة ، حتى بلغ ما أراد... بعد أن جهد طويلاً وتعب كثيراً . إن الحصّاد لا يحصد سنابل القمح ... فى الحقل .. بنظرة ، ولكن عوداً بعد عود . وإن منظفة الثياب لا تنزع الأوساخ عنها بلحظة ، ولكن ثوباً بعد ثوب ...

والعامل الحق لا يهمه شىء ، ولا يعرف الخيبة أو الفشل .. ويعلم أنه سيبلغ ما يريد إذا اختار عمله ، ثم قسمه ، ثم مضى فيه . . . وويل للجبان ..! يخاف كل عمل ... فلا يعمل . أما الشجاع فهو الذى يستحق الحياة ..!

* * *

وأنا لا أعجب لشىء كعجبى لأولئك الذين يرسلون الشكوى من هذه الحياة وطولها . أنا أسألهم : هل يعيشون ثمانى ساعات فى اليوم ؟ هل يعملون فيها عملاً حقاً ؟ فإن الكاتب مهما كان هزيل القريحة إذا سوّد كل يوم صفحة واحدة يجد فى أيام شيخوخته تراثاً عظيماً يجعله بين النابغين ، كبلزاك وفولتير

ولكن هل يكفى أن نجلس إلى المنضدة ؟ ألا يجب أن نخضع لنظام فى عملنا ؟ فلا ندع عملاً قبل أن نفرغ منه ، لأن اللذة بالعمل تتزايد تزايداً هندسياً إذا لم ننقطع عنه ، وهذا الأمر حق عند الكاتب الذى يطلب وقتاً ينسى فيه العالم الخارجى ويتفرغ إلى أفكاره وآرائه ، وهو أيضاً حق عند الصانع أو الرئيس لكى يتقن العمل وينجو من شر المحيط

وخليق بالعامل أن يبتعد عن البيئة الخارجية إذ ابدأ العمل ، لأن هناك طفيليين لا يفهمون عنه ولا يشفقون عليه ، فهم يتكلمون ويثرثرون ، ولا يفكرون فى أنهم لو تركوا من يتكلمون معه ، لاستطاع القيام بعمل ذى شأن . فهؤلاء لا يزيدون المرء إلا ضراً . إنهم يسخرون منه ، ويستهزئون به ثم يدعونه متحسراً على ما فات ضاحكين .

بوركت يا غوته ! لقد أدركت الحقيقة منذ سنين وسنين . لقد قال : « يجب ألا تضيع وقتك مع أناس يأتون إليك دون أن تعلم . إنهم يفيدون منك علماً ثم يدعونك . إن هذه الزورات لا تفيد شيئاً . إنها تفسد عليك آراءك ، وتنقلك إلى عالمك الخارجى الذى هربت منه ، بعد أن أصطفيت منه صوراً جئت لتخلع عليها مسحة من عقلك فتجعلها آية للناس . أنا غنى عن أفكارهم فعندى ما يكفينى » وليحدد طرائق العمل، فإذا نظر فيما اختطه لنفسه بعد سنوات لقى كل شىء هيناً ، فيثق آنئذ بقدرته ويرضى عن سعيه فلا يتقاعس ، ولا يخلد إلى الراحة والهدوء . على أنه يجب أن نعلم الأشياء التى تطلب عملاً مباشراً كى نقوم بها ثم نتكل على خطتنا

ونسعى وراءها بملء قلوبنا . وليكن قلبك وعقلك متجهين دائماً نحو الهدف . فإذا أصبته يوماً استطعت أن ترجع على خُطاك . تتلمس الطريق على هدى وتنظر إلى العقبات التى اعترضتك فتستمد من ذكرى ظفرك بها قوة لعملك القادم وأملاً لعيشك الجديد

إن النوابغ يدأبون بشغف على العمل . فلا يدعونه حتى يفرغوا منه ، ولا ينكبون على عمل آخر قبل أن يتموا الأول ، وتكون عقولهم متجهة نحو طريق واحدة كما يقول المثل الأميركى. وربما كان ذلك باعثاً على الضجر مسبباً للملل ، ولكن ما أهنأها ساعة يتغلب المرء فيها على العقبات ، ويصل إلى هدفه ظافراً!

* * *

فإذا اخترت لنفسك عملاً ، فإنك تختاره حسب ما تستطيع أن تقوم به قواك ، وتوصلك إليه مواهبك . ومن الخطل اتباع أمر لا نجح لك فيه . والفشل يشل القوى ويفقد النشاط . كان « غوته » ينصح للشعراء الشباب أن ينظموا قصائد قصاراً عوضاً عن ملحمة واحدة كبرى، لكيلا يفشلوا فييأسوا على مافاتهم. وكان صموئيل بوتلر يقول : « إذا أكلتم العنب ، فابدأوا بما ينضج من حبه » وجدير بالمرء فى عمل صعب متشابك أن يجزئه إلى أقسام ، ثم يعمد إلى كل قسم فيتمه . فإذا كانت أمامك طريق صعبة طويلة تود أن تسلكها فقسمها إلى مراحل لأن من الصعب أن تمضى فيها وتصل إلى منتهاها فى لحظات ، ثم اقطع كل يوم مرحلة ... فلا تلبث إلا قليلاً حتى تجد نفسك في غايتك ، دون أن تلغب نفسك أو تجهد جسمك . كن كالمصعّد فى الجبل الآمل فى بلوغ القمة ؛ إنه لا ينظر إليها دائماً لأنه منهمك فى الخطوة التى سيخطوها ... أما القمة فإن بُعدَها سحيق ... يخيفه ويشل قواه إذا حدّق فيه .. فليمض رويداً .. وعسىٌّ بالعامل الدائب أن يصل إلى مبتغاه .

إن تدوين تاريخ لأمة من الأمم منذ أيامها الخاليات إلى أيامها الحاضرات لعمل صعب يخافه الناس ... لأنه يبدو من أعمال الجبابرة الذين سما مقامهم وعظمت قدرتهم . ولكنك إذا قسّمته إلى عصور وبحثت فى كل عصر فإذا فرغت منه انتقلت إلى آخر غيره ، لم تلبث أن تجد يوماً عملك الضخم بين يديك فتقف متعجباً دهشاً . ثم يثبت القلب بعد التجاريب ، وتدب الحماسة فى النفس ، ويستولى عليها الاطمئنان ؛ فإن الكاتب الذى ألّف كذا وكذا من الكتب لا يصعب عليه إتمام كتاب بدأه . إنه يجسر كما جَسَر « مارتان دوكارد » و « دوهامل » و « جول رومان » و « لا كروتيل » على وضع عدد عظيم مما لا أستطيع معه صبراً ... »

وقال أيضاً : « إن الذى يتوق إلى الخلود ويود إخراج آيات فنية رائعة لجدير به ألا يدع هواه يسيطر على نفسه »

يقول الطفيليون لك : أين أنت ؟ إننا لا نراك ! تعال غداً لنلهو أو لنصيب طعاماً معاً ...! فقل لهم ولا تخش شيئاً لست بحاجة إلى لهوكم وغذائكم ... فدعوني وحيداً ...

وكان « غوته » لا يجالس أحداً إذا انغمس فى الكتابة أو النظم ... فإذا جاء إليه رجل على الرغم من خادمه العجوز أرسل يديه إلى ظهره ولاذ بالصمت وتكلم بحاجبيه وعينيه ، فيمل الزائر منه .. ويدفعه هذا الصمت القاتل إلى الهرب . أما رسائله فكان ينتزع منها ما فيه فائدة وعلم ، ويرمى بالتى يطلب أصحابها منه شيئاً إلى النار ويقول : « ويحكم يا شباب هذا العصر ، إنكم لاتعرفون للوقت ثمناً ... »

يقول نفر من الناس: هذا غرور بالنفس واحتقار للزائرين . فكم رجال عظماء كانوا يجيبون على الرسائل! وكم طفيليين هم جديرون بالرحمة والعطف . ويغالى هذا النفر ... فيصم غوته بأنه رجل غير إنسانى . ولكنى أسألهم : هل يستطيع رجل غير إنسانى أن يبدع لنا « فوست » الخالدة أو يخلق « وليم مستر » الرائعة ؟ إن من يهمل أمره ... يأكله الناس . . فيمضى دون أن يترك لنا أثراً نفيد منه ... والرجل الذى يحب العمل ، ويجد فيه لذة ومتعة ، ويقبل عليه بشوق وحماسة ... لا يريد إلا رجالاً على شاكلته . هو يساعد الناس ... ولكنه يفر من الحديث السخيف ، والثرثرة الخفيفة . ولذا كان « غوته » ينصح أيضاً للأديب أن يهمل حوادث يومه العامة ، إذا لم يكن فيها ما يغذى خياله أو يهيج نفسه . فلشد ما نكون أغبياء ، عندما نقضى ساعة من يومنا فى الاستماع إلى أخبار الحرب القادمة ، وساعة فى نتائجها ... وأخرى فى أسبابها ... ولم نتقلد بعد كرسي الوزارة ، أو نحمل عصا القيادة ، أو نمسك بقلم الصحافة ... إننا نسيء إلى بلادنا ...

أعلام الأدب

يوريبيــــدز
لغتـــه . فنه . وطنيـــاته

للأستاذ دريني خشبة

أعظم الآثار الفنية فى عالم الآداب هى تلك التى لم يستطع أحد إلى اليوم نقلها من لغة إلى لغة ... فالقرآن مثلاً لا تعرف قيمته الفنية إلا فى اللسان الذى نزل به، وقد فشل الكثيرون فى ترجمته ترجمة فنية سائغة تحتفظ ولو بالقليل جداً مما اختص به أسلوبه القوى البارع المسبوك المتين من بلاغة واتزان وموسيقى وشدة أسر ... وكذلك الإلياذة والأوديسة والأنييد وفردوس ملتون ... إنه لا توجد لهذه الآيات الأدبية الفنية البارعة ترجمات تعادلها فيما امتازت به من خصائص لغاتها التى ألفت بها، فما تستطيع الترجمة إلا أن تشوه جمال الأصل وتمسخه مسخاً ... ومثل هذا يقال فى درامات يوريبيدز، فإنه لم يستطع أحد ممن نقلوها إلى لغاتهم أن يحافظ على روح الشاعر العظيم وقوة بيانه. وهذا شللى أحد عباقرة الشعراء الإنجليز وأحد المعجبين بيوريبيدز والمتمكنين فى اللغة اليونانية القديمة ... لقد أحصى له النقاد أخطاء كثيرة فى ترجمته درامة السيكلوبس. ثم عدّوا له ضروباً من الشطط ابتعد بها عن الشاعر العظيم ... ولقد كان شللى معذوراً من غير شك، فلقد بلغ يوريبيدز الذروة بالبيان الأثينى واللغة الأثينية.

وقد كان مثل أبى الطيب فى الشعر العربى، ارتفع ثم ارتفع، فلما مات لم يخلق الله له نداً يحلم بمرتبته فى الشعر والحكمة. هذا ولقد أوتى يوريبيدز أضعاف ما أوتيه أبو الطيب من قوة الأسلوب وعمق التفكير، لا فى بيت، أو مقطوعة، أو قصيدة، أو مرثية أو مدحة؛ وإنما فى درامة طويلة فيها حوار وفيها خطاب وفيها غناء وفيها بكاء وفيها تدبير وفيها تصوير لحادثة متشعبة، هى كالكائن الحى، يملأ المسرح، ويملأ الآذان، ويملأ الأبصار، ويملأ القلوب

انتهت الدرامة بعد يوريبيدز فى تاريخ الأدب اليونانى ... هكذا يقول المؤرخون ... وهم يقصدون الدرامة العالية ذات الفن الرفيع ... وقد عاش يوريبيدز يؤلف للمسرح قرابة خمسين سنة، ومع ذلك فقد عاش غريباً فى قومه، بغيضاً إلى غالبيتهم المغيظة المحنقة لشدة ما ثار بتقاليدها وسخر من أفهامها ... فلما مات ... أخذ يعيش بأدبه العالى من جديد، وأخذ يخلب القلوب ويسحر الألباب بدراماته التى نيفت على التسعين، والتى ظلت تمثل بعد موته ستمائة سنة أو تزيد، والتى ظلت شغل النحويين واللغويين من علماء الأمم المختلفة فى اليونان وفى رومة وفى بيزنطة إلى ما قبل ألف سنة من الزمان ... فما نجد لغوياً من مؤلفى المعاجم إلا وهو يستشهد به فى أكثر ما يستشهد على صحة كلمة أو سلامة تعبير على نحو ما يستشهد مؤلفو القواميس عندنا بأشعار الجاهلية والقرآن الكريم

ومع هذه المرتبة الرفيعة فى اللغة فلم يستحدث يوريبيدز شيئاً ذا بال من وجهة الفن المسرحى، بل هو قد أخذ ما استحدثه سوفوكليس دون أن يغير منه شيئاً. ويبدو أن اشتغاله بالفكرة العميقة واستعراض الآراء السيكلوجية التى استحدثها فى أكثر دراماته، والتى لم يعرفها تاريخ المسرح قبله، ثم استعراض الآراء الفلسفية التى طبعها فيه أساتذته، وأصدقاؤه السفسطائيون، ثم عنايته الشديدة بالصوغ الشعرى، وتجويد أغانى الخورس، كل ذلك حال بينه وبين التجديد المسرحى الفنى، أو ما يعنون به (تكتيك) المسرح من وجهة الشكل لا من وجهة الموضوع.

على أن ليوريبيدز مع ذلك خصائص ميزته من أقرانه،

لأننا ننفق الأوقات فيما يضرنا ولا ينفعنا، فحياتنا قصيرة ... وبلادنا ترنو إلينا

على أن هذا النظام الذى اتبعه «غوته» فى عمله وخضع له، هو نظام الإحساس الرهيف. ونحن لا نستطيع أن ندع أحاسيسنا تسيطر على أنفسنا، فتعجزها عن العمل. أنظروا إلى العامل البائس الذى غدا إلى عمله، وترك ابنه فى داره، يعالج الحمى ... فالفكر التى تملأ رأسه تمشى على سمعه وبصره، فيخلد إلى الأحلام ... وتحف به الطيوف السود والأشباح المرعبة. وربما أمسك بالقلم ليخط رسالة ... ولكنه يبقى صامتاً حيران ... أمام ورقته البيضاء ... تفر منه الكلمات ... ويلتاث عليه الكلام

(دمشق) صلاح الدين المنجد

ومن أهمها تلك المقدمات الطويلة الطلية الاستهلالية التي يهيىء بها الأذهان لشكلته الدرامية والتي يقصها بلسان شبح كما في (هكيوبا) أو بلسان إله كما في (هيبوليتس) أو بلسان أحد أشخاص الدرامة كما في (هيلينا) ... الخ ...

وليس يعترض على ذلك بأنه لم يتبع تلك السبيل في (إفجنيا أوليس) لأنه لم يكمل هـذه الدرامة كما أسلفنا بل أكملها غيره ، وربما بدلها غيره أيضاً .

ومن ذلك أنه كان يحل عقدته الدرامية في اللحظة الأخيرة بظهور شبح أو إله أو سر دنبوءة، فيظهر ما كان مطوياً عن الأفهام، وهو ما يسميه نقاد الآداب الكلاسيكية Deus-ex-Mâchinâ أو (إله من الآلة) أو تسخير إله لغرض درامي كما تسخر الآلة . وكان أرسطو يكره ذلك في درامات يوربيبدز ، وإن كان سقراط من قبله لا يرى في ذلك ما يعاب به الشاعر - والحقيقة التي اتفق عليها نقاده ، وفي مقدمتهم الدكتور فيرال[1] (Dr. Verrall) إن هذا هو أشق عيوب يوربيبدز بالإضافة إلى طول حواره الذي يجعله إلى الخطب الرنانة أقرب منه إلى الحوار المسرحي ، فقد يطول ما يلقيه الممثل الواحد في القالة الواحدة عن صفحتين أو ثلاث ، وهذا ما كان يسخط أرسطو ، وما يزال يسخط مترجمي يوربيبدز .

هذا ، وينبغي ألا ننسى له براعة تنقله بالنظارة من المشهد إلى الآخر وما يثيره فيهم من الشغف والشوق والتشوف لما بعد ... ثم ينبغي كذلك أن نذكر أن أجمل الأغاني — ولا سيما أغاني الحب — هي ما نظم يوربيبدز

أما ما يعيبه بعض النقاد على الكورس في دراماته وعدم قيامه بما جعل الخورس له في سائر الدرامات اليونانية من وصل للحوادث وتمهيد لما يجيء بعد ثم شرح لبعض الوقائع الطويلة التي لا يتيسر تشخيصها على المسرح، فهو قول مردود لأن الذي صنعه يوربيبدز وحصر به مهمة الخورس للموسيقى والغناء هو سمو منه بوظيفة الخورس ، واختفاء ظلال خلابة من لذة الألم في المشاهد الشجية وجمال الاتعاظ في مشاهد العبر ، وتذوق الجمال في المشاهد المنتزعة من صميم الطبيعة .. وعلى هذا فقد قصر يوربيبدز خورسه على إلهاب الشعور وإذكاء الحس بالموسيقى التي تتفق وكل مشهد من المشاهد ، والغناء الذي لا يجيء (نشازاً !) كما نشهد في بعض دراماتنا العصرية

وطنيات يوربيدز

لم يتأثر شاعر يوناني بروح بركليس كما تأثر به يوربيبدز ، ولم يبد هذا الروح واضحاً جلياً في أدب شاعر كما بدا واضحاً جلياً في كثير من دراماته .. لقد سمعه يخطب قبيل حرب البلوبونيز الأولى وهو يشيد بمناقب أثينا وما حملته من قسط عظيم في تاريخ اليونان حينما حررت شعوبها من ربقة الفرس وتعرضت وحدها للدمار والحريق حتى إذا ظفرت بعدوها وطهرت منه البر والبحر عادت تنشئ لجميع الشعوب الهيلانية حضارة رفيعة قوامها الديمقراطية والفن والأدب والفلسفة ... ثم قال بركليس كلمته الخالدة التي أوردها في تلك الخطبة : « لم لا تحدق الشعوب والقبائل اليونانية كعصبة من العشاق المعاميد حول أثينا ؟ » ثم ذكر ما لأثينا من الفضل في التعريف بالفضيلة ونقلها من حيز النظريات إلى عالم الدولة ومعائش الشعب وسياسته العليا، وقد خاض يوربيبدز معظم حروب البلوبونيز (بين أثينا وأسبرطة) وكان حب الوطن يعمر فؤاده بالإيمان ، وكان يحزن أشد الحزن لهذه المجازر التي تنشب لأسباب تافهة بين شعبين شقيقين وإن تكن الحرب في الحقيقة بين ديمقراطية أثينا وأتوقراطية أسبارطة ... وقد كان يوربيبدز من أنصار السلام آخر الأمر وإن يكن قد ظل جندياً من سن الثامنة عشرة حين اعتبر رسمياً (إفيبوس) أي شاباً لائقاً للجندية إلى أن بلغ الستين ... وقد أثار عليه ميله للسلام حفائظ مواطنيه ، تلك الحفائظ التي منها ما عرفنا من ثورته على تقاليد السلف وما كان يتناول به النساء في دراماته من تحليل ، ودفاعه السيكلوجي عن الزناة والقتلة وجنايات الأفاكين ، وما سنعرفه عنه في هذا الفصل من سخريته بالآلهة وتجديفه في دين الإغريق ورمي أرباب الأولمب بأقسى التهم وأفتك سهام التجريح ... لكن يوربيبدز مع ذلك كان يحب أثينا لأنه كان لا ينسى إذ هو طفل والأثينيون ينقلون إلى سلاميس العجائز من الرجال والنساء والأطفال — وهو منهم إذ ذاك — والفرس البرابرة يحرقون القرى والمعابد على الشاطئ فتندلع ألسن النيران لتكتب في صفحة

(١) في كتابه الفذ Euripides The Rationalist

التاريخ وقائع هذه الحرب بحروف من نار ... لم يكن يوريبيدز ينسى هذا المنظر الفظيع ، ولم يكن يبرح ذهنه بعد إذ شب أن أثينا الضعيفة الديمقراطية قد انتصرت على فارس القوية المستبدة، وأن الأثينيين القليلين الجياع قد انتصروا ذلك النصر لأنهم كانوا غير معتدين على أحد ولا طامعين في ملك أحد ... ولأنهم « أحرار أيها الملك ، ولكنهم غير أحرار في عمل أي شيء ، لأن لهم سيداً واحداً يخضع له الجميع يدعونه القانون ! » كما قال أحد الأسبرطيين لعاهل الفرس أجزرسيس[1] وهو يسأله لماذا لا تفر هذه الحفنة القليلة من الناس أمام عسكره اللجب الكثير !

هكذا أحب يوريبيدز وطنه أثينا الذي أشاد به في كثير من دراماته . وهكذا أحب يوريبيدز الديمقراطية ، لكنه سخط على الديمقراطية جميعاً حينما ثار وطنه عليه مع أنه من أعظم أسباب رفعته ، وحينما رأى الديمقراطية ترفع الأوشاب وتكون منهم زعماء الشعب فيتحكمون في السادة الأخيار من رجال الذهن والخلاصة الصالحة من نجباء الأمة ثم يظل هؤلاء الأوشاب محترفي سياسة ، وموضع تقديس الرعاع والدهماء ؛ والويل كل الويل لمن يجرؤ أن ينقدهم بكلمة ولو كانت كلمة الحق ، أو أن يرسل فيهم لساناً ولو كان لسان الصدق ...

من وطنيات في ميديا

حينما لقي جاسون زوجته ميديا بعد إذ كشفت سره دار بينهما حديث طويل فيه مرارة وفيه ثورة وفيه جائحة من السباب والشتائم والتعبير صبتها ميديا على رأس جاسون الذي خدعها وغدر بها ولم يذكر ما صنعت في سبيله ولم يجزها جيلاً بجميل :

جاسون[2] : ... كيف تزعمين يا امرأة أنني لم أجزك على ما قدمت إلي من جميل ؟ لقد أخذت أضعاف أضعاف ما أعطيت ! لقد نقلتك من أرض البربرية الخبيثة الجثة إلى فراديس اليونان الفياحة ، حيث عرفت لأول مرة جمال العدالة ، وبهرك سلطان القانون فأقلعت إلى حين عن وسائلك الوحشية ... وها قد ذاعت حكمتك بين جميع الإغريق ، ولو تلبثت بين عشيرتك لما عرفك ولما أحس بوجودك أحد ، بل لم يجر ذكرك على لسان ! !

ومن هذه المقالة نفسها في ذم النساء :

« إنك لا تعذلينني هذا العذل إلا لأن نفسك مقروحة من غريمك ، ولكن هذا داء بكن جميعاً يا بنات حواء . إذا طابت أهواؤكن في أكناف أزواجكن فقد تمت نماؤكن ، فإن لفح مهاد الزوجية لافح من سوء حظكن فقد تبدلت الحال غير الحال وانقلب كل ما كان خيراً فأصبح شراً مستطيراً ... كم كان خيراً للإنسان أن يستطيع النسل بطريقة أخرى غير طريقة النساء ! ! ثم ما كان أجمل ألا يخلق جنسكن ؟ ! إذن ما حاق بنا شر ولا عرف وجه الأرض موبقة من الموبقات ! ! »

ومن أغاني الخورس في تمجيد أثينا ص ٩٧ نقتطف هذه السطور :

« يا أبطال شعب إركتيوس ! يا أنسال الآلهة .. يا من يطعمون ثمار الحكمة[1] الناضجة ، وينشقون ألطف أنفاس النسيم ، وينعمون أبداً بالسماء الصافية ، ويضربون في تلك الدروب المأهولة حيث كانت عرائس بييريا ترطب أرواح الآباء بطهر المسرة وتلقن آلهة الألحان كيف تتغنى قصتها الأولى »

والسطران الأخيران من الفقرة الثانية من ذاك الخورس نفسه : يخطر الحب في مهرجان الحكمة في ناديك ، وتدل كل فضيلة وتختال حين تؤزرها آلهة الجمال برعايتها التي تنميها وتشيع فيها الجمال ! »

أطفال هرقل

عند ما مات البطل العظيم هرقل (هركيولز) استبد ملك آرجوس بزوجه وأطفاله ، وظل يسقيهم من الهوان ألواناً حتى اضطروا إلى الفرار مع راعيهم يولوس ... وقد رفضت جميع الممالك اليونانية إيواءهم خوفاً من بطش ملك آرجوس حتى ينتهي بهم المطاف إلى المدينة الحرة أثينا فيعطف عليهم ملكها الشجاع الذي يوبخ قائد الأرجيف الذي جاء يقص أثرهم ويعود بهم إلى آجوس ... ويثور القائد ويهدد بإعلان الحرب على أثينا في الحال إن لم يسلم ملكها (ديموفون) الفارين من الأرجيف . لكن الملك يثبت كالصخر وينتهر القائد ، لأنه لا يخاف الحرب من أجل المحافظة على الكبرياء الوطنية ، ولأن الذي يلوذ بأثينا فإنه آمن ، لأنه يلوذ بالمدينة الحرة

---

(١) هيرودوتس — ٧ — ص ١٠٤

(٢) ترجمة المقتطفات وتلخيص الدرامات عن طبعة دانت وميديا من ترجمة وودهل ج ٢ ص ٨٦

(١) في الأصل اليوناني Sophia التي اشتق منها اسم السوفسطائيين وتعني الحكمة أو الفضيلة

القائد كرپيوس : إذن يهرع الأشرار من كل مكان ليلوذوا بأثينا ؟

ديموفون : هذا الهيكل(١) حل لكل لاجىء !

القائد : سيرى أولو الأمر فى مسينا غير ما ترى ؟

الملك : أولست ملك هذه البلاد إذن ؟

القائد : فلا تجر على رؤسهم الويل بسوء عملك !

الملك : أفأنت تعد ما أرفض من استباحة هيا كل الآلهة سوء عمل ؟

القائد : لست أحب لك أن تجازف بحرب ضد الأرجيف !

الملك : أنا قرينك فى محبتى للسلم وتعلقى به ، لكنى مع ذلك لن أخيب رجاء هؤلاء المساكين !

القائد : بيد أنى مكلف بالقبض على من هم منا !

الملك : إذن فلا تحسب أنك مستطيع العودة إلى آرجوس بسهولة ...

القائد : سأجرب لأعلم ما وراء التجربة !

الملك : إذا خيل لك أنك قادرعليهم فستندم على مجرد مسهم !

ويستمر الحوار على تلك الوتيرة ثم يمضى القائد ثائراً مرعداً وتعلن الحرب ! والدرامة تكبر من أساليب الديمقراطية فى الحكم وتسفه الوسائل الاستبدادية فيه

وفى درامة (نسوة متضرعات) التى تدور حوادثها على توسل نساء الأرجيف لدى قادة أتيكا فى رد جثث أبنائهن قتلى الحرب بين أثينا وآرجوس ، منظر وطنى رائع بين قائد طيبة وملك أثينا ... فإن القائد يدخل متقحما سائلاً : « من الحاكم بأمره(٢) فى هذه البلاد ؟ » . فيصحح له الملك خطأه ويجيبه : « ليس هنا حاكم بأمره يا صاح ... إن هذه لمدينة حرة ... وإذا قلت مدينة حرة فإنى أعنى أن كلاً من أفراد الشعب يأخذ فى دوره بنصيب فى الملك ، وليس للأغنياء عندنا من دون الفقراء امتيازات ما ! »

وليوريبيدز درامات وطنية مفقودة نظمها قبيل حرب البلوپونيز الأولى أو عقبها يطول بنا البحث إذا تناولناها هنا فنكتفى بالإشارة إليها ، وبحسبنا أن نذكر منها درامات إيجيوس ، وثيذيوس ، ، وإرختيوس

د. ينى خشبة

(١) المنظرف هيكل زيوس فى الفورم هندمراثون (دانت ـ وودهل ـ ج ٢ ص ٣٧١)

(٢) الكلمة تيرانوس ومعناها الملك المستبد

الحـــاجة

للشاعرة أيلا هويلر ولكنكس

للآنسة الفاضـــلة « الزهرة »

أيتها الحاجة التى طالما حسبتها عدوتى الكاشحة ، أنت أيتها السيدة الجافية ذات المحيا الشتيم المكفهر لقد أصبحتُ أعرفُ جيداً الآن وقد عزَّ اللقاء بيننا ، أنك كنت لى صديقة عزيزة ، بريئة مما رميتك به من اللائمة منزهة عما عرضته لك بالنكير . . .

حقًّا إن أفضل ما قمت به من الأعمال وأبرع جولات خيالى المجنح ، قد كانت من فيض وحيك

وقد أهابَ بى صوتُك القوى الحازم ، إلى ركوب ظهور العوائق ، وتخطى رقاب الموانع ، كما أقدمَ بي تحضيضك ، على حسن السعى وشحذ عزيمتى على الجد والكفاح

وأغرانى بأن أضرب للحياة جأشاً ، وأثبت للوجود عقداً ولولا ما كنت تنفحينه فىّ من روحك لخمدتْ تلك الجذوة المحتدمة فى طين نفسى

ولولا مهمازك الحادّ الذى لم يدعنى ألوى عنانَ السير عن عقلة ، أو أنكل لحظة عن خطة ، لما عرضتُ مدى قوتى وخددت جهد طاقتى

ولولا سيادتك القاصرة على حياتى وما ألجأتنى إليه مراراً من، حمل الأعباء ، والنهوض بالبزلاء ، والتسامى عن آفاق اليأس والقنوط لما اهتديتُ إلى منجم الكنوز الدفين فى غيابات نفسى

ولئن كانت قد تفرقتْ سبلنا ، وتشعبت طرقنا ، واختلفت متجهاتنا ، وبعدت نوانا ، وانشقت عصانا اليوم

ولئن لم يتح لى أن ألقاك ثانية ، إلى أن يقطع بى السبب ويضحو ظلى وتطوى صحيفتى ، فإنى أريد أن أضفر لك من هذه الأزاهير الشذية إكليلاً أزين به مفرقك ، لكى تتعرف القلوبُ الأخرى إليك وتجد فيك أبرّ صديقة

الزهرة

عود إلى التفاؤل والتشاؤم

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قلت إن الشاعر أو الناثر لا يُحكَمُ عليه ولا يقال إنه متفائل أو متشائم بما يقوله فى حالات نفسه العارضة المتغيرة ، لأن كل نفس تفيض بالسرور والأمل تارة ، وتنقبض بالحزن تارة ، والنفس التى لا تستطيع إلا السرور فى موطن الحزن إنما هى كالأبله الذى لا يستطيع إلا الضحك ، وحالة هذا ليست فضيلة ولا قوة. وقد يتاجر بعض تجار الأدب باسم التفاؤل ، وإنما تفاؤلهم سلعة مغشوشة وعملة زائفة يريدون أن يربحوا بها الحمد والثناء ، وأن يغروا بها الناس ؛ وهذا التفاؤل أيضاً ليس فضيلة فى النفس ، بل هو نقيض الفضيلة ، وإنما يُحكَمُ على القائل بما يقوله فى وصف أمله فى الحياة ، وحثه إلى المُثل العليا ، وما يقوله فى تمجيد جهود الناس فيها كما فى قصيدة : (أبناء الشمال) أو (شهداء الإنسانية) أو (إلى المجهول) أو (الباحث) أو (قوة الفكر) أو (العصر الذهبى) أو (الحق والحسن) أو (النشوء والارتقاء) .

ويُحكَمُ عليه أيضاً حكماً صادقاً إذا نظر الناقد فيما قاله القائل فى وصف محاسن الحياة والأرض والكون ؛ فإذا استطاع أن يُجمِّلَ الحياة بقدرة فنه على وصف آيات الكون والطبيعة ، لم يستطع الناقد أن يقول إن التشاؤم غالب عليه ، ولا أدرى كيف يستطيع ناقد أن يقول هذا القول إذا قرأ لى وصف محاسن (الصحراء) ... حتى الصحراء تجد فيها النفس ، وفى مظاهرها المختلفة محاسن ... وقصيدة : (البحر) . وقد نشرت فى الرسالة أيضاً وفيها وصف تلون البحر وتغير مناظره ووصف جزره :

ومن جزر مثل الجنان مضيئة ... كأن جهلتها الصائلات الدوائر

ووصف (عيون الندى) :

فليس عيون النيد أشملها الصبى ... بأحسن فى لألائها حين تعطف

ووصف الربيع فى قصيدة (الفصول) :

أهواكِ يا روح الربيع فهيّئى ... جسماً كجسم النيد فى لألائه

ووصف النهر المترقرق فى قصيدة (على بحر مويس) :

عهدته فى صيفه لؤلؤاً ... لو أنَّ للؤلؤ سيلا يسيل

ووصف مناظر الغابة وأصواتها التى تحكى جميع شجون النفس فى قصيدة : (الغابة) . أما وصف : (شريعة الغابة) من فتك فى آخر القصيدة ، فهذا ليس من التشاؤم . بل هو تحليل لصفات النفوس يدل عليه تقاتل الآحاد والأمم فى العالم ، ويعترف بصدقه كل إنسان ما عدا الإنسان الذى لا يستطيع إلا الضحك دائماً ، وما عدا الإنسان الذى يتخذ الباطل فى وصف النفس تجارة ربح ويسميها التفاؤل . ووصف مظاهر الضوء ومباهجه ومحاسنه فى قصيدة : (الضوء) دليل آخر على التفاؤل الصحيح غير المزيف :

أو مثل فجر الآمال إنَّ لها ... فجراً وليلاً يُضاء بالذكر

كأنك أنتَ سُلَّمٌ لِعلا ... ء النفس تسمو لآية العُمر

تُخالُ من رقة المراسم مع ... نى لا يراه البصير بالبصر

والساخر الذى يستطيع بالرغم من سخره أن يقول كما قلت فى قصيدة (سؤر العيش) :

والسخر مرآة إبليس التى نصبت ... إن تُبصر الحق فيها عاد كذابا

فيجعل السخر مرآة الباطل ومرآة إبليس فى بعض الأحايين لا يكون التشاؤم غالباً عليه ، والذى يستطيع أن يصف سحر : (ضحكات الأطفال) كما استطعت فى قلبه نور الأمل لأن الأطفال هم أمل الحياة :

ضحكة منك صوتها صوت تغري ... د العصافير تستلين القلوبا

ضحكة ردت المشيب شبابا ... وأماتت من الوجوه الشحوبا

ضحكات كأنها كلمات الـ ... له تمحو مآثماً وذنوبا

إلى آخر القصيدة . وقد قلت فى وصف أثر مظاهر الجمال فى قصيدة (قبس الحسن) :

يا شمس حسن حياتنا ثمرٌ ... ينضج فى ضوء حسنك الثمر

على أن الحسن فى الأحياء والأشياء ذوق ورمز ومعنى واصطلاح تخلقه النفوس . ومن أجل ذلك كانت سعادة المرء فى نفسه كما قلت فى قصيدة : (طائر السعادة) :

ومن لم يجد فى نفسه ذخر عيشه ... فليس له بين الأنام نصير

وكره الإنسان للعيش هو من حبه للعيش كما فى هذه القصيدة أيضاً :

قلى العيش حب العيش قد شط رغده ... كما يُبغضُ المهجور وهو أسير

كن يبغض الحسناء يقلى دلالها ... وفى الصدر منه لوعة وزفير

وقلت فى وصف أثر النفس فى النفس فى قصيدة : (النعمان ويوم بؤسه) وكيف أن الوفاء فى أحد الناس جمله يلغى يوم بؤسه ويقول :

ألاَ علِّلانى يا خليلىَّ أننا ... على العيش بالإحسان والصدق والندى

وأعترف حتى فى قصيدة : (ثورة النفس) بما فى النفس البشرية من حسن :

تريدين أن الجسم يغدو كأنما　　يضئ به منك الضياء المحجّب

وفى جمال فجر النهار وفجر العمر من قصيدة (فجر الشباب) :

وكان للفجر قلب خافق أبداً　　من الحياة ووجه كله لطف

وفى إضاءة الحياة بالجد والعمل والأمل فى قصيدة (العظيم فى قوله) :

رأيت حياة المرء فى نفع قومه　　ولاخير فى كنز إذا كان خافياً

وما نُصِب المصباح إلا لضوئه　　وإن كان فى أحشائه الدهن فانياً

وفى حب الشعراء للحياة من قصيدة (الشاعر وجمال الحياة) :

نحن كالنحل لا نحب من الزهـ　　ـر سوى كل غضة مطلولة

وفى وصف محاسن الأرض والطبيعة :

وكأنما نسج الإلٰه جنانها　　شرك النهى وحبالة الأهواء

وفى أشد القصائد حزناً كما فى قصيدة (بين الحياة والموت) وهى من شعر الحالات العارضة أقول فى وصف العيش :

ولكنه كالخمر تحلو لشارب　　وإن سُلِبت منه النهى والسرائر

وفى النسيب اعتراف قصيدة بجمال الحياة بالرغم من مرارة تجاربها :

وأنت جميلٌ كالحياة مُحَبَّبٌ

وإن كنت مثل العيش مر التجارب

وفى قصيدة (حكمة التجارب) قلت فى عزاء التجارب :

خذ بنصحى فقد حييت كثيراً　　ولو أنى لم أمض عمرا طويلا

عشتُ فى كل ساعة أبد الدهـ　　ـر وعالجت نَضْرَةً وذبولا

ورمتنى الحياة بالحلو والمـ　　ـر فطوراً رغداً وطوراً وبيلا

ورفعت الستار عن خدعة العيـ　　ـش وقهقهت وانتحبت عويلا

وصحبت الحياة فى حالتيها　　وخَبَرْتُ القنوط والتأميلا

إلى أن قلت :

ورأينا الحياة من كل وجه　　وعشقنا كمالها المستحيلا

ورجعنا إلى الحقائق حتى　　لم نعد نطلب المحال بديلا

فهذا ليس من التشاؤم بل هو ما يناله المرء من حكمة الحياة وهو لم يمنع من وصف آمال الإنسانية كما فى القصائد التى ذكرت فى أول المقال . وقصيدة (الحسن مرآة الطبيعة) على ما بها من ذكر الموت فى آخرها جمعت مظاهر الحسن ومنها :

أنت مرآة ما يجئ به الكو　　ن من الحسن بكرةً وأصيلا

فأرى فى الصباح منك ضياء　　وأرى فى المساء منك ذبولا

وأرى منك فى الخريف شبيهاً　　ثمراً يانعاً وزهراً جميلا

وما أذكر الموت فى آخرها إلا أنه يدعو إلى محاسن الحياة والتزود منها . وقد وصفت أثر تفاعل الكون والنفس فى قصيدة (الشعر والطبيعة) ومنها :

إذا غنت الأطيار فى الأيك صُدَّحا　　تغنت لأشجان الفؤاد طيور

وللريح هبات وللنفس مثلها　　تُغَنِّى رُخَاءً فيهما ودَبُور

نرى فى سماء النفس ما فى سمائنا　　ونبصر فيها البدر وهو منير

إذا كنتُ فى روض فقلبِى طائر　　يُغَنِّى على أفنانه ويطير

وإنْ كنتُ فوق البحر فالقلب موجة

تَسَرَّبُ فى أمواجه وتسير

وإنْ كنتُ فوق الشم فالقلب نسرها

وللنسر فى شم الجبال وكور

وفى قصيدة (الشاعر المحتضر) يتعلل بأنه قبل موته جَمَّل الحياة بفنه :

وجَمَّلْتُ الحياة بنظم شعر　　شبيه الضوء فى الأفق الأغَرِّ

وقد جعلنا مثل هذا القول علالة لأن بين الأدباء من يتعلل به وإن كنا لسنا فى حاجة إلى مثل هذه العلالة ولا نأسى لضياع عمل عمر بأكمله

وفى قصيدة (خواطر الحياة) أثناء التألم أستطيع أن أقول :

والسخط غُربال جاهد قصد الـ　　ـسيل كأن الأَتِيَّ مردود

أى أن حوادث الدهر لا تُدْفَع بالسخط والحزن كما أن السيل لا يُرَدُّ بغربال

وفى قصيدة (كعبة النفس) جعلت الرجاء من الإيمان والعبادة :

أيا كعبة الآمال ذات المحارم　　مكانك من قلبى كمحراب صائم

فلا تأخذونى بالرجاء فإنما　　رجائِىَ إيمانُ النفوس الحوائم

وفى قصيدة (بيت اليأس) جعلت الحزن ترياقاً يقى من الحزن كما أن القليل من السم قد يقى من السم :

كشارب السم كى يُصادِى　　مَنْ عَلَّهُ سمه صريحا

ورددت هذا المعنى فى قصيدة (عدوى الحياة) وذكرت أن مصل الجرائيم وقاية منها :

كما يتداوى بمَصْلٍ عليـــلٌ

وفى المصْلِ من بعض ما تَبَرَه[1]

وفى (عصير الحياة) جعلت لذتها وأنغام فنونها من آلام تجاربها :

أسىَ على ساعات عمرىَ واطئا　　كالكرم يعصره الجناة فيخمر

وأحيلها نغما يروق سماعه　　وأعيدها شعراً يلذ ويُسْكِرُ

(١) تبره : أهلكه

وقلت إن دجن السماء مثل حزن النفس قد يكون لذة وذلك في قصيدة (يوم مطير) فانظر كيف تستخرج النفس اللذة والأمل من الحزن والسحاب :

ثقيل على القلب البهيج عبوسه ولكنه قد يسحر القلب كاربُهْ
كذلك بعض الحزن للنفس شائقا تماقره في نشوة وتقاربُهْ

وهل تفاؤل أعظم من تفاؤلي في البيت الآتي من قصيدة (عجائب الحياة):

وأبني صلاح الكون والناس مثلما مضى في بناء عامل وأجير

وقد جعلت حتى تعلل المتعلل بذكر الموت مظهراً من مظاهر حب الحياة:

وما عَـلَّلَتْ نفس الفتى بمَنِيَّةٍ ستطوى هموم العيش طي الدساكر
سوى رغبة في العيش يرهب صرفه فيعدو على البؤسى بذكرى الغوابر

والتلذذ بوصف مظاهر الأمل وأحاسيسه في قصيدة (السكون بعد النغم) يدل على التفاؤل ومنها في وصف الاحساس بالسكون بعد النغم:

كسكوت اللهيب فوجىء بالبشـ ـرى ويخشى من حسنها أن تحيا
أوسكوت الشباب في حُلُم الآ مال من قبل أن تداني المشيبا
أو سكوت الأم الرءوم حنانا وابنها نائم وقته الخطوبا
حلمت حلمها بما سوف يسمى في مساعيه جيئة وذهوبا
من ثمار الحياة تختار أحلا ها له نعمة وسعدا وطيبا

وقد جعلت الأمل بهجة العمران في قصيدة (الأمل) :

أيا بهجة العمران لولاك لم يكن فلا شيد البانى ولو كدّ كادحُ

وهي قصيدة طويلة كلها في مباهج الأمل ولذاته ومحاسنه، وأحاسيسه وفي قصيدة (شهداء الإنسانية) جعلت النعمة في الحياة مستخرجة من الشقاء

وكم من نعمة لولا شقاء قديماً لم تكن إلا وبالا
فكم خبر الأوائل من شقاء فنلنا من شقائهمُ نوالا

وقد ذكرنا في هذه المقالات وغيرها أسماء قصائد عديدة جداً لا هي من شعر التشاؤم، ولا من المذهب الطبيعي الإنجليزي، والشعر العربي ليس في حاجة إلى مذاهب أو مسميات جديدة. وإذا لم يكتف حضرة الناقد الفاضل بهذه القصائد والشواهد ذكرنا له غيرها ونعتقد أنه حسن النية في قوله، فعسى أن تكون عقيدتنا فيه صواباً. ونكرر للأستاذ الدكتور أننا طبنا نفساً عما قدمنا من عمل، ولا يهمنا أفنى أم بقى، ولكن الذي يهمنا ألا يتخذ وسيلة للنيل مناحتى ولو كان ذلك عن حسن نية .

عبد الرحمن شكري

من ذكريات لندن

دعاية ...

للأستاذ عمر الدسوقي

في العراق شباب ملء يومه ملء غده ، يتقد حماساً لوطنه وعروبته ، ويدأب ليل نهار في الدعاية لنفسه وقوميته ؛ عرفته فعرفت الثورة الملتهبة المتأججة ، والنفوس الطاحة المتوثبة ، نفض عنه غبار القرون ، واستيقظ فالتفتت الدنيا ليقظته ، ثم زأر فارتاعت الأفلاك من زأرته ؛ أينما حلّ فمعمعة ونضال ، أو ضجة وجدال .

وفد على مصر منذ عشرة أعوام أول بعث من فتية العراق ، ليطفئوا صدى نفوسهم من كوثر العلم ، وينشروا بين أبناء الكنانة فكرة جليلة سامية ، تشبعت بها نفوسهم ، وامتزجت دماؤهم ، وتراءت لهم في الحلم عزة وقوة ، وفي اليقظة عظمة وفتوة ؛ ولكن راعهم أنا بنهضتهم جاهلون ، وعن دعوتهم معرضون

دعوا للوحدة العربية ، فألفوا قلوباً غلفاً وآذاناً صماء وعقولاً سيطرت عليها فكرة الفرعونية ، وبلبلتها السياسة المصرية ؛ فلم ينكصوا على أعقابهم ، أو يقنطوا من نجاحهم ، بل طفقوا يبددون دياجير هذا الجهل ، ويعرفون أبناء النيل ببلاد تعجب بهم ، وتعلم عنهم أكثر مما يعلمون عن أنفسهم ، ويرسلونها صيحة من فؤاد مؤمن بما يدعو إليه ، موقن بأن هناك من سيستجيب له : أن تعالوا إلى كلمة تجمع شملنا المبدد ، وتعيد إلى الحياة مجدنا الغابر ، وتحلنا بين الأمم مكاناً علياً ، يبعث في قلوبهم الهيبة والرهبة ، ويبدو شجى في حلوق الطامعين ، وقذى في عيون المستعمرين ، ويحبط كيدهم ويبطل إفكهم ؛ فينشدون ودنا بدلاً من عدائنا ، وحلفنا عوضاً عن استهارنا

لبى نداءهم من فطن إلى ما انطوت عليه جوانح المستبد الغاصب ورأى في تلك النزعات الإقليمية هوة سيتردى فيها أبناء العروبة وهم في غفلة ساهون ؛ فما البربرية ، والفرعونية ، والفينيقية ، والآشورية ، إلا شباك نصبها الطامع الشره ليحول بيننا وبين الوحدة المنشودة التي يخشى أن تزلزل الأرض تحت قدميه ، وتضع السيف والنار أمام عينيه ، إن عاد إلى ما ألف من عبثه بهذه الديار وذويها

أو لم يمزق أوصال الشام ، وقد مرت عليها العصر وهي لا تعرف من دواعي الفرقة شبحاً ، وهي تلك الصخرة الشماء من العزة والإباء ، تنحسر عنها أواذى الكائدين كليلة خائبة ؟

عزّ عليه وقد خرج من معمعان الحرب نشوان بحميا الظفر أن يرى ديار العروبة تتحفز للوثوب ، وتجثم للنهوض ، فعاجلها بضربة خالها قاضية ، وفرقها أباديد ، حتى لا تطمع في قوة أو تأمل في عزة ، وحتى لا تعيد على مسرح التاريخ تلك الأنفة والحمية والأيد والجلد والاستهتار بالموت ، في سبيل الكرامة والشرف والعقيدة ، أيام أن حشدت أوربا جموعها وشنتها حرباً شعواء على هذه الديار باسم الدين ، فأصبحت العراق في قبضته ، ومصر في حوزته ، والشام أشلاء ممزقة . فما فلسطين وسوريا ، ولبنان ، وجبل العلويين ، وجبل الدروز ، والأسكندرونه ، إلا أعضاء جسد واحد كان من قبل رمزاً للجد والنشاط والشهامة ؛ وأخذت طرابلس الغرب تسير وئيداً في سبيل الفناء ، وأحال تونس والجزائر بلاداً لا هي شرقية ولا غربية ، فسخت مسخاً ، وتبلبلت ألسنة بنيها رطانة لا هي فرنسية فتفهم ، ولا هي عربية فيفخروا بها ، وعمد إلى مراكش فكاد للاسلام والعروبة كيداً ، وحاول أن يهدم هذا الدين بعرف قد عفت عليه القرون لا يصاح لحضارة ولا يمت رقياً

فطن من لبى نداء هؤلاء الفتية الأخيار إلى كل هذا ، وإلى أن ذاك التراث المجيد قد كان بالأمس منبعاً للنور والمجد والرحمة والإنسانية ، يفيض على الدنيا وقد جللتها سحب الجهل والظلم ، وإلى أن هذه البلاد على تباين أسمائها تلهج بلغة واحدة ، وتعتز بتاريخ واحد اشتركت فيه في البأساء والضراء ، وتشعر بشعور واحد ، وتنحدر من أصل واحد

وإذا لم تكن اللغة أداة التعبير ورمز التفكير ووسيلة تصوير الشعور والوجدان ، عاملاً من عوامل الوحدة وتأليف الأفئدة ، فماذا يكون ؟

وإذا لم يكن التاريخ والأدب والدم ، صلات وثيقة ، توحد بين الصفوف ، والأهداف والغايات ، فماذا يكون ؟ أسسوا جمعية صغيرة متواضعة تدعو إلى ذلك الغرض النبيل السامي ، وتعمل

فى إخلاص على توثيق عرى المودة بين أبناء العروبة فى مصر ، فانضوى تحت لوائها شباب طاهر برئ من نزعات الأحزاب القديمة وحزازاتها الشخصية

ولكن ما لبث أن سعى إليها الشيوخ يريدون أن يسخروها لأهوائهم؛ وطفق هؤلاء يستهوونها بالمال، وهؤلاء يمنونها بالتأييد، وهى بين ذلك تلقى من السخرية والتهكم ما يضعضع العزائم الثاقبة ، ويثبط الهمم الصارمة

يا طالما كنت أعتذر لهؤلاء الرفاق عما يبديه بنو جلدتى من جفوة وإعراض ، وأقول : إنهم متى فرغوا من صراع العدو الناصب ، ونفضوا أيديهم من نزاله ، فسيمدون إليكم الأيدى طواعية ، وستتفتح قلوبهم لدعوتكم الرشيدة ، إن راموا عزاً ومجداً لهم ولبلادهم ؛ فلا تهنوا ولا تحزنوا ، وثابروا على جهادكم ، فإن جلائل الأمور لا تنجز بين طرفة عين وانتباهتها

غادرت مصر ، ونزلت مدينة « إكستر » ، ووفد علينا جماعة من العراقيين يطلبون العلم بجامعتها فقلت : ها ... إن الميدان قد تحول من ضفاف النيل إلى ربوع انجلترا ، ولكن وا أسفاه ! قد استمرأ هؤلاء الفتية حياة اللهو والدعة ، فإذا دعوتهم إلى الجد وضعوا أصابعهم فى آذانهم وأصروا واستكبروا استكباراً

ثم رحلت إلى لندن ، ووجدت فيها نخبة طيبة من أبناء العراق وفلسطين ، قد اتخذوا الجد قبلة يولون إليها وجوههم صباح مساء ، وحرصوا كل الحرص على أن يملأوا كنائنهم لا بسهام محطمة من الخزعبلات والدنايا ، ولكن بالثقافة العالية والدراسة المجدية ؛ حتى يكونوا فى ساحة الجهاد أولى قوة وبأس شديد، وحتى يحطموا عن شرقنا المسكين هذه الأغلال التى كبلته ، وعاقته عن النهوض والرقى زمناً طويلاً؛ وحتى ينازلوا الجهل بالحكمة، والأفن بالعقل، والميول النابية والأحقاد الزمنة والأغراض الحقيرة ، بالصرامة الحازمة والعقيدة الجازمة

أجمعوا أمرهم على تأليف جمعية عربية فى لندن ، تبث تلك الدعوة الصالحة بين شباب العرب ، وتقرب بين آمالهم وأهدافهم فإذا ما تشربتها قلوبهم ، واطمأنت إليها ألبابهم ، كانوا رسل الوحدة العربية فى ديارهم ، وتعرف الإنجليز بنا ، وبحضارتنا ، ونهضتنا . ثم بدا لهم أن يكونوا كذلك لفلسطين جنوداً على ضفاف التامز يهبونها من حرارة إيمانهم ، وثمار عقولهم ، ما شاء لهم حبهم الطاهر لبلادهم ، وقصدهم النبيل فى إسعادها .

لليهود فى انجلترا سطوة وقوة ، وتجارة واسعة عريضة نامية ، ودعاية سديدة منظمة ، ينفقون عليها الأموال الطائلة ؛ ولهم فى دار النيابة خطباءهم أمراء البيان ، يذودون عنهم بكل ما أوتوا من قوة وفصاحة[1] .

وأنى لنا ، ونحن شباب لا تظاهرنا حكومة ، أو يشجعنا ثرى ، أو تشد أزرنا سفارة ، مباراتهم فى الدعاية التى آمن بها الإنجليز عامتهم وخاصتهم لكثرة ترددها على أسماعهم ، اللهم إلا ذاك النفر القليل الذين ساحوا فى البلاد العربية ، وفقهوا سر شكواها وكنه مصابها . ولقد وجدنا فى هؤلاء نصيراً شد عضدنا ، وسدد خطانا ، وبذل فى سبيل قضيتنا الوقت والمال عن سماحة وطيب نفس

أخذنا ندبج المقالات الضافية ، تنطق بالحقائق الناصعة ، ونذيعها تارة بالخطابة ، وأخرى بالكتابة ، على الرغم من إيصاد الصحف أبوابها دوننا . وقد مُهد لنا السبيل لمناقشة فريق من أعضاء المجلس النيابى ، فكان منهم من يرى رأينا ويشد أزرنا ، ومنهم من يشيح بعطفيه ويزور جانباً

لم نقصر دعوتنا على طبقة دون أخرى من الناس ، بل جلنا جولات صادقات فى كل مجتمع وندى ، وهتفنا باسم فلسطين العربية ما أتيحت لنا الفرصة

جاءت وفود العرب تترى لحضور حفلات التتويج ، يقدمهم أمراء العرب الأمجاد ، فقلنا : لن يجتمع فى هذه البقاع من أبناء العروبة جمع مثل هذا يحميه ويؤيده ويزينه سلائل الملوك الصيد من أبناء عدنان وقحطان ... !

فلنصرخ صرخة مدوية تخترق شغاف هذه الأفئدة التى أغواها الصهيونيون، ولتكن زأرة الأسد ربع حماه، لحمتها الشمم، وسداها الإباء ، لا عويل الذليل العانى يسترحم القلوب بالنحيب والبكاء . . .

---

(١) يقرب عدد اليهود فى إنجلترا من نصف مليون ، ولهم فى البرلمان نحو عشرين نائبا ، ولهم نفوذ قوى على الصحف البريطانية ماعدا « التيمس » ويهيمنون على أكبر الشركات هناك كشركة « شل » ، وشركة الفنادق وغيرها ، ويحتلون أعظم المناصب فى الجامعات ، ويحتكرون دور السينما والملاهى .

رغب صحبي في أن يقيموا حفلاً يجتمع فيه بأمرائنا الأخيار ، فنؤدي واجب التكريم والتبجيل ، ونعلن لهم عزم الشباب على الفناء في سبيل العروبة واتحاد القوى ؛ ورأوا أن ما بأيديهم من المال قليل ، فنفضوا الطرف عن دعوة ذوي الرأي والجاه في إنجلترا ، وكنت أرى أن نمد الدعوة إلى رجال الصحافة وكبار القوم ، حتى يروا رأي العين جمعنا الباهر، واتحادنا المتين، وحتى تصل كلماتنا إلى قلوبهم لعلها تلين . وهبت زوبعة من الجدال والنقاش كادت تعوقنا عن بلوغ هذا الشرف الرفيع ، لولا أن شد أزري صديق كريم [1] وتعهدت وإياه أن نقوم بسداد ما يزيد من النفقات إذا لم تهز الأريحية أفئدة أمرائنا الغر الميامين ذوي السماحة والندى ، فهبوا للحمية من نفحاتهم ما يعز مقامها، ويعلي منارتها . .

وكان حفلاً لم تشهد لندن نظيره من قبل روعة وبهاء وعظمة ورواء بل كان حفلاً فريداً قل أن يجود التاريخ بمثله . وكيف لا . . . وقد شرفه أمراء العرب ، وتلاقوا فيه لأول مرة جميعاً ملبين نداء الشباب ، ومناحين عن فلسطين الشهيدة .

كُبِتَ به من خال أن اتفاق العرب محال ، لشدة تنافرهم وتحاسدهم ، وتباين أهوائهم ومطامعهم ، بيد أن عزمات الشباب تذلل الصعاب وتحقق الرغاب

وقرعت دعوتنا أسماع من طالما صدفوا عنها ، وفتحت الصحف لنا أبوابها بعد أن أطنبت في وصف ذلك المشهد الفخم وهذه المظاهرة العربية الجليلة الوقورة

وقد حقق أمراؤنا الأبطال آمالنا ، فما إن سمعوا نداءنا حتى جاشت في قلوبهم حُميَّا النخوة والكرامة ، ففاهوا بكلمات تفصح عن نفوس عامرة ، وأفئدة ملؤها النبل والإباء ، وقالوا : إن بلاد فلسطين ومحنتها تقض منا المضاجع ، وتحز القلوب حزًّا ، وإن خروجها من المعمعة سليمة مستقلة ظافرة لأمل نضعه نصب أعيننا وصلاة نرتلها صباح مساء ، فثقوا بنا وبجهادنا والله يرعانا ويرعاها

وغمرت عطاياهم جمعيتنا الفتية ، فأصبحت في الجهاد أثبت قدماً ، وأشد بأساً ، وأعلى صوتاً ، حتى ضاق بها الصهيونيون ذرعاً ، فما قام منهم خطيب ينفث في الناس سمومه وتخرصاته ، إلا وجدنا أمامه نبطل كيده وندحض باطله

وعدت ذات مساء إلى داري ، فرأيت ربة الدار محزونة مكتئبة فسألتها : ما بالها ؟ فقالت :

— جاء اليوم فتيان من أبناء صهيون، ينم حديثهما عن خبث طوية ولؤم حاد، وطلبا إلى أن أسدي لك النصيحة بالحسنى عن لسانهما، وأناشدك الله وأهلك وغربتك إلا أقلعت وصحبك عن مناوأة جهادهم، وإن أبيت إلا اللجاج والعناد، فلهما معك يوم له ما بعده

ثم قالت : إني أخشى عليك هؤلاء القوم ، إذ لا تؤمن لهم غائلة ، ولا يتعففون عن دنيــة ؛ وما كان لي أن أزج بنفسي في خاصة أمورك لولا أنك نزيل داري ؛ وأنا لهؤلاء الصهيونيين مبغضة وعليهم حانقة

فقلت : شكراً لك — سيدتي — هذا العطف الجم ، والشعور الكريم ، ولا عليك من هؤلاء فلن يضيرني منهم شيء ، وسنرى .

عمر الدسوقي

وزارة الأوقاف

إعلان

تقبل العطاءات بمكتب الميزانية والمشتريات لغاية ظهر يوم ٢٢ الجاري عن إنشاء عزبة جديدة بزراعة الهلالية بالمنزه مكونة من منزل لسكن المعاون ودوار واستراحة و٤١ منزلا للشغالة .

ويمكن الحصول على الشروط والمواصفات من خزانة الوزارة نظير ٣٠٠ مليم .

---

(١) هو الأستاذ طارق العسكري نجل المرحوم جعفر باشا العسكري، وأشهد أنه من خيرة شباب العراق وأشدهم وطنية وإخلاصاً

١٢٠٦١

تأملات وتفكرات

شارلى شابلن العبقرى

فى الخمسين من عمره !

[مهداة إلى السيدة ا . ش]

الأستاذ زكى طليمات

سرعان ما تجرى الأيام وتمر السنون !

يرتقى شارلى شابلن علم الأعلام فى دنيا السينما أول درجات العقد السادس بعد أن سلخ من عمره خمسين عاماً

بلغ شارلى هذه السن ونال كل ما تتوق إليه النفس من الجاه ونباهة الذكر وقلائد الذهب وأكاليل الغار ، إلا أنه بقى محروماً من دفء الحنان وراحة العيش فى ظل امرأة صالحة ، لأن الحظ السعيد الذى واتاه فى كل شىء أبى أن يواتيه فى النساء

والنساء فى حياة الفنان المرهف الحس القوى الطبع . عنصر لا غنى عنه فى استكمال السعادة المنشودة

ومع هذا فإن شارلى قد تزوج ثلاث مرات إلا أن كل زواج منها كان ينتهى دائماً بالخيبة !

تدخل المرأة فى حياة شارلى فينطوى عليها وتغدو نصفه الثانى ويتفانى فيها كما تتفانى فيه وقتاً من الزمن، وينفخ العبقرى الفنان فى النصف الجديد أنفاساً من روحه الخلاق فتغدو شيئاً ويتبه لها ذكر ، ويعلو لها شأن ، وتسود الألفة بينهما بما يستجلب عليهما حسد الحاسدين ثم ...

ثم يأخذ النفور بعد ذلك يدب بينهما فتخمد الجذوة المتقدة فى قلب الزوجة المعجبة بزوجها ، وتنهب الزوج آلام الخيبة والجحود ، وينتهى الأمر بينهما بالطلاق !

عجيب هذا الأمر ، وأعجب منه وقوعه مع رجل مثل موفور الحظ من اللباقة والظرف ، عرك الحياة ، وعرف طباع الناس !

اختلفت الآراء فى تفسير هذه الظاهرة ، وانبرى الكتاب يفسرونها حسب أهوائهم ، ولم يتورع بعضهم عن اتهام العبقرى المثل بشذوذ فى الطبع وبخرق فى الرأى وإن لم ينكروا عليه لطف المعاشرة ولين الجانب وبسط اليد

ألا إن المتأمل فى حياة شارلى، الفاحص عن أمر طبعه ومنزعه بما يطالعه له من آثار وحيه على الشاشة البيضاء ، يرى غير ذلك إذا توخى الإنصاف والدقة ، وتعمق فى استكناه ما وراء وعى هذا العبقرى المثل

إن شارلى عبقرى فنان . والفنان الحق خلّاق ، والخلّاق من طبعه البذل والتضحية والإسراف فى الجهاد

تعود شارلى أن يصدر عن كل هذا فى عمله ، مؤلفاً كان أو ممثلاً أو زوجاً

ومن كان هذا شأنه فإنه يتطلب الكثير من الناس ، ولا يقنع بالغذاء المادى الذى تقدمه المرأة من عطفها وحنانها . هذا والفنان الصادق أثر يحب نفسه وهو لا يشعر ، فهو يميل إلى الاستئثار بكل ما يعمر قلب المرأة التى يهبها قلبه ، وينزع إلى سوء الظن بما يلقاه من تقصير أو فتور غير متعمد ، ويعده جحوداً ونكران جميل ...

وهكذا كان شارلى شابلن يتطلب من زوجاته أن يعطينه مثل ما يعطيهن .

هذه هى العلة ، وهذه هى غلطة شارلى شابلن مع النساء . أو بالأحرى هى غلطة كل فنان خلاق كبير القلب دافق الروح ، شاعراً كان أو ممثلاً ، أو مصوراً ، بل لعلها هى غلطة كل كريم نفس يسرف فى بذل حبه وكريم عواطفه لإحدى بنات حواء .

ونخرج من هذه المأساة العاطفية بشىء واحد ، وهو أنه واجب على الرجل ألا يؤمل كثيراً فيما عسى أن تمنحه المرأة إياه وأن يقنع منها بظرف المعاملة ، وبسماتها الوردية، وبلمسات شعرها المعطر ، وبومضات جسدها الشاب المضىء . إن لم يفعل ذلك

– وواجب عليه أن يفعل – فإنه لا يجنى من حياته العاطفية سوى أشواك الجحود والخيبة .

أما ذو القلب الكبير والروح الخلاق ، الصادى الذى لا تروى غلته جرعات من الماء تخير له ألا يبحث عن السعادة فى ظل امرأة .

لم يكن غريباً بعد هذا أن نلمح فى ابتسامات شارلى أفواه الجروح ، وأن نسمع فى صدى ضحكاته أنات العويل . إن المسكين يضحك خشية أن يسترسل فى بكاء .

ولا عزاء للمسكين فى محنته هذه ، وفى عزلته . لقد تجاوز السن التى تجعله مرموق الحسان . إن ابن الخمسين لا يصلح إلا أن يكون ملجأ لمنكودات الحظ فى الحب أو فى الزواج أو طالبات العيش الهادئ فى كنف الرجل كان ما كانت سنه ، أو العوانس اللواتى يكابرن الدهر والدهر يتطاول عليهن ، أو الغوانى من قانصات المال والجاه العريض ، وهذا الصنف من المخادعات إذا قابلن رجلاً فى منحدر العمر ، همسن فى أذنه أنهن لا يحببن الشباب لنزقه وتيهه ، ولكنهن يعشقن الشيوخ لرجاحة عقولهم وفيض حنانهم

وشارلى العبقرى الفنان ، ابن الخمسين ، لا يجهل ذلك . ولهذا فقد قدر عليه أن يعيش محاطاً بكل لذائذ الحياة ، من مال وجاه وفخار إلا لذة المجوع إلى صدر امرأة يخفق قلبها بحب خالص له . قدر عليه أن يكابد مرارة الحرمان الدائم ، وقسوة الوحدة ، وحمى الظمأ الذى لا يرويه ماء

وهذا كله فدية الروح الخلاق والطموح الذى لا يتطامن ، وهذا أيضاً فدية المجد الذى علقه شاباً ورجلاً وكهلاً .

زكى طليمات

العالم يتطلع الى حدودنا المصرية

أربعون يوما
فى الصحراء الغربية
للأستاذ عبد الله حبيب

— ٣ —

تحدث المحرر فى المقالين السابقين عن بعض مشاهداته فى الصحراء الغربية فوصف سحر الصحراء ، وأتى فى كلمات وجيزة على ذكر كثير من عادات العرب وصفاتهم ، وتحدث عن حكامها ودون عنها معلومات عامة طريفة . وهو فى هذا المقال يتحدث إلى القراء عن ساحل الصحراء الغربية وهطول الأمطار وموارد المياه على الساحل وسكة حديد الساحل وسكان الساحل وقبائل الصحراء الغربية حديثا شائقا طريفا

ساحل الصحراء الغربية

يمتد القسم الساحلى من الصحراء الغربية — وليس له اسم معين معروف — من الشمال الغربى للدلتا من الإسكندرية شرقاً إلى السلوم غرباً ؛ ويبلغ طوله نحو ٥٠٠ كيلو متر

وقد أطلق عليه القرطاجنيون اسم « ساحل ليبيا » وورد ذكره فى كتابات هيرودوت عند وصف رحلات الفينيقيين والقرطاجنيين إذ وصف سكان هذا القسم بما لا يخرج عن حالتهم فى الوقت الحاضر وطرق معيشتهم بعد الفتح الإسلامى . قال : إنهم يرتدون ملابس اللوبيين ، وتضع النساء خلاخيل فى أرجلهن ويرسلن شعورهن تنمو وتطول ؛ ومن عاداتهم أن للزواج وقتاً معيناً ، وهو عندهم عيد عظيم ، إذ تحضر القبائل — عند افتتاح موسمه — أجمل الفتيات الراغبات فى الزواج فيقفن أمام ملكهم ليختار لنفسه منهن زوجة جديدة قبل أى مخلوق آخر

ولكن هذا الشعب قد انقرض الآن واندمج فى القبائل العربية بعد الفتح الإسلامى ، وأصبح سكان هذا الإقليم من العرب قبائل أولاد على

والقسم الساحلى هو شريط رفيع من الأرض المتعرجة الصالحة للزراعة . ويتراوح عرضه من الساحل جنوباً بين ٢٠ و ٥٠ كيلو متر ، ويتسع من جهة الشرق — العامرية — ثم يأخذ فى الضيق عند ما يتجه غرباً ، وينتهى تقريباً عند السلوم حيث تقترب هضبة ليبيا الكبرى من الشاطئ وتدخل فى مياه البحر



منظر لجانب من ساحل الصحراء الغربية بالقرب من الخزانات الرومانية

أما أسماء التلال ورؤوس الخلجان فلها تاريخ أثرى قديم ، ولا يزال العربان يعثرون على آثار ذات قيمة وخاصة من العصر الرومانى . ونذكر من أسماء هذه التلال بعضها وهى : رأس الكنائس (وكانت تعرف برأس حرموم) ؛ ومرسى مطروح وكانت تعرف بارانيوم ؛ وميناء النجيلة وكانت تعرف بجازيس ، وميناء جرجوب وكانت تعرف بأبيس ، والسلوم وكانت تعرف بيارانومس ، ورأس الملح فى طرابلس وكانت تعرف بأردينس ، وميناء البردى وكانت تعرف بيتراجنا

هطول الأمطار

تعد مسألة هطول الأمطار فى هذا الإقليم من المسائل العجيبة حقاً ، فبينا يهطل المطر بغزارة فى مكان ما ، إذ تراه ينحبس عن مكان آخر قريب من الأول جداً ؛ غير أنه يهطل بحالة دائمة فى مناطق معلومة مبعثرة على الشاطئ يعرفها العرب أنفسهم ؛ ويستمر من ثلاثة أشهر إلى أربعة فى السنة ؛ تبدأ من أكتوبر أو نوفبر وتنتهى فى شهر إبريل ؛ وفى بعض الأحيان يهطل المطر مرة واحدة وذلك فى شهر مايو ، ويسميه العرب « مطر البطيخ »

ويعد نزول الأمطار فى الواحات كواحة سيوه مثلاً من الأمور النادرة ؛ وإذا استمر سقوطها قليلاً سبب هدم منازل الواحة المصنوعة من « الجالوص » وقد حدث ذلك فى سنة ١٩١٩ م ؛ وكذلك فى شهر إبريل سنة ١٩٣٧ م ؛ واستمر هطول الأمطار

يومين كاملين ؛ فأوقع ضرراً بالمنازل وهدمها ، وبقى السكان هناك مدة بلا مأوى

موارد المياه على الساحل

تنتشر فى المنطقة الساحلية خزانات المياه الرومانية ، وهى محفورة فى الصخر بنظام هندسى عجيب يمنع تسرب المياه منها ، وتبقى فيها لمدة سنين ، وكان الرومان يستعملونها قديماً ولا يزال العربان يستعملونها إلى الآن ؛ وبعض هذه الخزانات كبير الحجم يتسع فى بعض الأحيان لآلاف من الأطنان تكفى لأعوام طويلة كالخزانات الموجودة فى العامرية ومطروح والسلوم ؛ وتهتم الحكومة بتنظيف هذه الخزانات وإصلاحها وطلائها بالأسمنت ؛ وتوجد المياه كذلك فى بعض آبار «جامات» على الشاطئ ويسميها العرب «بالثوانى» وهى أكثر ما توجد فى المناطق الرملية

وتوجد الدواوير والزوايا بكثرة حول المناطق الغنية بالمياه وخاصة ما كان منها قريباً إلى الشاطئ . ويزرع السكان حولها الزيتون والتين والعنب وبعض أصناف الخضر

سكة مريوط الحديدية

هى إحدى منشئات الخديو السابق ، وكانت تمتد قديماً إلى بلدة فوكه على بعد ١٢٠ كيلو من الإسكندرية . ثم نزعت قضبانها فى أثناء الحرب العظمى سنة ١٩١٦ لأغراض حربية وانتهت عند بلدة الضبعة على بعد ١٠٢ ميل من الإسكندرية

أما الآن فقد تم مدها إلى مرسى مطروح أى إلى مسافة ٣١٢ كيلو متراً من الإسكندرية ولهذه السكة تاريخ غريب : فقد كان الخديو السابق يزمع مدها إلى السلوم على حدود مصر — طرابلس ، أى نحو ٥١٤ كيلو متراً من الإسكندرية . وكان غرضه من ذلك أن تقرب السفر إلى أوربا يومين ، وكان يرمى إلى مد فرع آخر منها من مرسى مطروح إلى سيوة أى مسافة ٣٠٠ كيلو متراً أخرى وذلك لنقل محصول البلح والفواكه واستغلال أملاكه الكثيرة التى يملكها فى هذه الواحة . ويتضح لمن ينعم النظر فى هذا المشروع أنه لا يأتى بالفائدة المرجوة منه ولا يسد تكاليفه الباهظة . ولقد أدى ذلك إلى تدخل المعتمد البريطانى فى أمره وشرائه باسم الحكومة المصرية تفادياً من استخدامه لأغراض حربية

سكان الساحل

يقطن المنطقة الساحلية قبائل من العربان الرحل تعرف بقبائل أولاد على . وكلهم من البدو الذين يعيشون عيشة غير مستقرة فيزرعون الشعير والحنطة على الأمطار ويشتغلون فى وقت الجفاف بنقل حاصلات بلح الواحات إلى الساحل ويعودون بالحبوب والسكر والشاى وسائر الحاجيات إلى الواحات ثانية



نساء من العرب أولاد على

والبدوى بطبيعته يفضل السير فى الدروب المطروقة الظاهرة للوصول إلى مقصده ، وهو لا يفكر فى اختراق أرض مجهولة . ولكن إذا اتفق أن أمطرت السماء وغمرت بعض الأراضى ونبتت فيها المرعى فسرعان ما يتجه إليها البدو من كل الجهات لترعى مواشيهم ؛ ورعاية الماشية تتطلب السير فى مختلف أراضى المنطقة ، وبهذه الوسيلة يسير البدوى فيها فيتعرف على دقائقها جيداً . وللعربى خاصية حفظ الأشياء والمناظر الطبيعية والعلامات الأرضية فهى تنطبع فى ذهنه لأول وهلة . على أن هذه الخاصية لا تتوفر لجميع البدو ، بل هى تتوافر عند قليلين منهم يعرفون بالأدلاء . وللدليل البدوى مهارة عجيبة مدهشة فى تعرف الطرق وسهولة ارتيادها وتمييز الجبال والتلال والقدرة على السير ليلاً فى أشد الليالى حلكة وظلاماً

قبائل الصحراء الغربية

يسكن صحراء ليبيا من النيل إلى جالو والكفره فريقان من البدو : السعادى والمرابطون، وهم جميعاً من نسل «سعدى». وهم ثلاثة فروع :

سعدى . وقد أنجبت جبريل وبرغوث وعقار . ومن ذرية جبريل : العواقير والعربيات والمغاربة والجوازى . ومن ذرية برغوث : عبيد والعرفه والفوايد . ومن ذرية عقار : على والجرابى والهنادى وبنى عونة والجميعات ، ومن ذرية على : أولاد على الأبيض وعلى الأحمر والسنة . وأولاد على الأبيض هم : أولاد والسنافره والعزايم والأفراد . وأولاد على الأحمر هم : القنيشات والمشيبات والكيلات . والسنه هم : العزوة ، والقطيفة ، والمحافيظ ، والعجنة

ويسكن أولاد على الصحراء الغربية .

أما «المرابطون» فهم أقدم من السعادى ولكنهم متفرقون وكل قبيلة منهم فى حمى قبيلة من السعادى ، ولعل ذلك يرجع إلى أن السعادى جاؤا البلاد فاتحين ؛ ويعرف المرابطون أحياناً بالصدقان أو الأصدقاء . وأهم قبائلهم : زوى ، والمجابرة ، والمنفة ، والموالك ، والشواعر ، والجرارة ، والقطعان ، والحونة والجبابل، والتراكى، والشهيبات والفواخر ، وترهونه ، والعوامة والصوانقة الخ ...

وهؤلاء موزعون فى الصحراء وفى حمى السعادى . وكل قبيلة منهم مسؤولة عن الدفاع عمن تحميهم من المرابطين .

ويقدر عربان هذه الصحراء بنحو ٥٥ ألفا . وهم جميعاً معروفون بشدة الولاء والإخلاص لجلالة الملك وآل بيته الكريم لما لاقوه من عطف محمد على باشا الكبير رأس الأسرة العلوية ، وما منحه إياهم من امتيازات لا يزالون يذكرونها ، ويفخرون بها ويتوارثونها جيلاً بعد جيل . ؟

عبد الله حبيب

ملحوظة : أكثر ما ورد فى هذا المقال والذى قبله من البيانات المفيدة مأخوذ مما دونه صديقنا الصاغ رفعت الجوهرى مأمور مرسى مطروح عن الصحراء الغربية .



التاريخ فى سير أبطاله

أحمـــــد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



أما عن ذهاب الجيش على تلك الصورة إلى عابدين فالمسئول عنه الخديو ووزراؤه ، فلقد كانوا يعلمون ما فى صفوف الجيش من تذمر وهياج ثم كانوا يعلمون مع ذلك مبلغ مقدرتهم على المقاومة فبدل أن يطفئوا النار زادوها بأساليبهم اشتعالاً ، هذا فضلاً عن ذلك الموقف المزدوج الذى وقفه الخديو تجاه الضباط وتجاه الوزارة

ولقد كان القصر أمام الجيش خلواً من أية قوة . فروعيت حرمته أحسن مراعاة ؛ وروعى كذلك مقام الخديو ، فلم يخرج أمامه ذلك الجندى الثائر عن طوره ، بل تمالك نفسه فترجل وأدى التحية لمولاه . ثم ذهب فأعرب له عن ولائه ، وشكره حينما أجيب إلى ما طلب باسم الأمة ... ألا إنا لنعجب بذلك ونفخر به إذ نكتبه ، وما نجد من الأدلة التى نسوقها على رجولة عرابى وشهامته وبعده عما يرميه به خصومه أقوى من هذا الذى نشير إليه

فإذا أضفت إلى ذلك ما كان يدبر فى خبث من الدسائس فى ذلك الموقف الرهيب ، وذكرت كيف أحبطها عرابى بمزيج من البسالة والصبر يدعو إلى الإعجاب ، ازددت لا ريب إكباراً لموقفه فى ذلك اليوم . ولقد كانت أية كلمة نابية أو أية إشارة يساء فهمها كفيلة بأن تسيل الدماء فى تلك الساحة . قال عرابى : « لو حاول الخديو قتلى لأطلقت النار عليه »[1] .

ولن يفوتنا أن نذكر أن عرابياً قبل ذلك كله قد اتصل بقناصل الدولة ، وأفهمهم قبل أن يتحرك نحو عابدين أنه يقصد بعمله هذا مظاهرة سلمية ، وأكد لهم بالغ حرصه على الأمن . كما أنه كتب إلى الخديو قبل أن يذهب . فكان بذلك كله حكيماً موفقاً لا يدع مسلكه غميزة ، أو يهيىء سبباً للامة ...

نجحت حركة عرابى إذاً أتم نجاح وأجمله وتهيأت البلاد لأن تستقبل عهداً يسود فيه الإصلاح والنظام ؛ فلقد كان قبول الخديو مطالب عرابى التى أشرنا إليها ينطوى على معنى عظيم ألا وهو موافقة حاكم البلاد على التخلص من الحكم الاستبدادى الرجعى ، والعودة إلى حكم الحرية الدستورية الذى سبق أن وافق عليه يوم تبوأ عرشه ثم عاد فتنكر له حين اطمأن فى مصر إلى كرسيه

ولقد عارض شريف باشا أول الأمر فى قبول الوزارة ، وكانت حجته فى ذلك أنه بقبوله الحكم دون قيد ولا شرط إنما يضع نفسه تحت سلطة الحزب العسكرى ، الأمر الذى لا يستطيع أن يحمل نفسه على قبوله ؛ ولذلك دارت بينه وبين رجال هذا الحزب مفاوضات استمرت بضعة أيام تحرجت الأمور فيها حتى أوشك أن يتنحى شريف عن قبول الوزارة نهائياً

ولكن لاحت بوارق الأمل عقب ذلك ، وكم كان جميلاً أن تلوح من جانب ذلك الذى لا يزال نفر من المصريين حتى وقتنا هذا يرمونه بالفوضى ويعودون بأسباب ما لحق مصر من ويلات إليه ، فيقيمون الدليل بذلك على أنفسهم أنهم إما ذووا أغراض أو أولو جهل معيب بحقائق الأمور

كان جميلاً أن يبرق الأمل من جانب عرابى ، فلقد دعا يومئذ أعضاء مجلس شورى النواب المعطل وعرض القضية عليهم وكان على رأسهم سلطان باشا ذلك الذى كان يعتبر فى تلك الأيام من أكبر زعماء الحركة الوطنية

(١) تاريخ عرابى الذى كتبه بقلمه لمستر بلنت سنة ١٩٠٣

وذهب إلى شريف وفد من هؤلاء يرجون منه قبول الحكم ، فعرفوا منه أنه يشترط ألا يتدخل الجند فى شىء ، ويريد أن يرحل عرابى وعبد العال بفرقتيهما إلى مكانين يختاران لهما ، وأن يترك قبل ذلك حراً فى اختيار وزرائه لأن عرابى كان يطلب إليه إعادة البارودى وإدخال مصطفى باشافهمى فى الوزارة، وكان شريف يرفض ذلك لأنهما لم يثبتا على عهدهما فدخلا وزارة رياض عقب إقالة وزارته

وتعهد هؤلاء الزعماء برياسة سلطان أنهم يضمنون لشريف خضوع الحزب العسكرى ، وكان بين هؤلاء من ذوى المنزلة فى البلاد سليمان أباظة والشريعى والمنشاوى والمويلحى والشمسى والوكيل ، وهم أهل جاه وسلطان يعرف شريف قيمة انضمامهم إليه

وذهب عرابى بنفسه إلى شريف ، قال عرابى : « وفى يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ قابلته مرة أخرى. وقلت إنه لا يمكن ترك البلاد بلا وزارة فأصر على الرفض فقلت له : إن لم تؤلف الوزارة اليوم فسنطلب غيرك ولا تظن أن ليس بالبلاد سواك فيها بعون الله العلماء والحكماء ولم يكن اختيارك لعدم وجود غيرك لهذا المركز الخطير ... فاغرورقت عيناه بالدموع ولم يحر جواباً ثم خرجنا من عنده وبعد قليل جاءنا الشيخ بدراوى عاشور (وكيل زراعته) وقال إن الباشا قبل ما عرضته عليه »

وألف شريف وزارته الثالثة وكانت هذه أولى ثمار الثورة ، وقد قبل الوزيرين اللذين أشار بهما عرابى ، كما قبل ما رجا منه قبوله رجال العسكرية وهو النظر فى القوانين الخاصة بالجيش وذلك فى نظير أن يخضعوا لحكمه ويبتعدوا عن كل تدخل

وراحت مصر تستقبل فى تاريخها فترة من أسعد الفترات فلقد نالت أمانيها دون أن تراق نقطة دم ، وخرجت سالمة آمنة من ثورة جديرة بأن توضع إلى جانب أهم الثورات التى قصد بها الحرية فى تاريخ الإنسانية ؛ ثورة جديرة بأن توضع إلى جانب ثورة سنة ١٦٨٨ فى انجلترة وإلى جانب الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية الكبرى ؛ ولولا ما كتبه المغرضون المبطلون من الأجانب عنها ، وما ضربه الاحتلال على الآذان والقلوب فحال بين المصريين وبين تاريخ قوميتهم الحقيقى لكان لتاريخ هذه الثورة شأن غير هذا الشأن فى هذا البلد المسكين

ولقد كان المستر بلنت فى مصر يومئذ فوصف تلك الأيام السعيدة بقوله[1] : « إن ثلاثة الشهور التى أعقبت هذا الحادث لهى من الوجهة السياسية أسعد الأيام التى شهدتها مصر ، ولقد أسعدنى الحظ بمشاهدة ما جرى فيها بعينى رأسى فلم أتلق معلوماتى عنها بطريق السماع ولو كان ذلك لشككت فى حقيقتها . إنى لم أر فى حياتى ما يشبه هذه الحوادث وأخشى ألا أرى مثلها فى المستقبل إن كل الأحزاب الوطنية وكل أهالى القاهرة قد اتفقت كلمتهم هنيهة من الزمن على تحقيق هذه الغاية الوطنية الكبرى ، لا فرق فى ذلك كما يظهر بين الخديو والأمة ، ومرت فى مصر رنة فرح لم يسمع بمثلها على ضفاف النيل منذ قرون فكان الناس فى شوارع القاهرة حتى الغرباء منهم يستوقف بعضهم البعض يتعانقون وهم جذلون مستبشرون بعهد الحرية العظيم الذى طلع عليهم على حين غفلة طلوع الفجر إثر ليلة مخيفة حالكة الظلام »

تقدم الزعماء والعلماء إلى شريف بالعرائض يطلبون إعادة تشكيل مجلس شورى النواب ؛ وما كان شريف فى حاجة إلى مثل هذا الطلب إذ كان فى مقدمة ما ينتويه تقرير مبدأ الشورى وتثبيت قواعد الدستور وليست هذه أولى محاولاته فى هذا السبيل

ودعا وزير الحربية عرابياً ، فأفهمه رغبة الحكومة أن يسافر بفرقته إلى رأس الوادى ، وأن يسافر عبدالعال إلى دمياط . فقبل عرابى ذلك ، ولكنه اشترط أن يصدر أمر الخديو بانتخاب النواب قبل السفر ، ولا ريب أن هذا الشرط من جانب عرابى خروج منه على ما أخذه على نفسه من عدم التدخل فى شؤون الحكومة ؛ وهى نقطة لا يسعنا إلا أن نحسبها عليه . بل ونلومه عليها مهما كان ما ينطوى عليه طلبه من خير للبلاد ، ومهما كان فى هذا الطلب من معانى حرصه على الدستور والحياة النيابية ، وبخاصة إذا كان على رأس الحكومة رجل مثل شريف .

أما عن امتثاله لأمر الحكومة بقبول السفر ، فهو أمر فى ذاته — على الرغم مما أحيط به من اشتراط — يعد من محامد عرابى . إذ يدل على مرونة وكياسة ورغبة فى التفاهم شتان بينها وبين ما يعزوه إليه خصومه وجاهلوه من الحماقة والنزق والعنف فى كل ما يطوف بهم من سيرته . كما أنه يقدم بطاعته هذه دليلاً آخر على حسن طويته ونبالة غرضه فيما سعى إليه .

وفى اليوم الرابع من أكتوبر سنة ١٨٨١ رفع شريف إلى الخديو مذكرة يلتمس فيها موافقته على دعوة مجلس شورى النواب ، ولم يكن للخديو بد من إجابة رئيس وزرائه إلى ما طلب وما كان أغنى توفيقاً عن أن يعطل هذا المجلس لو أنه كان يحسن

(١) المسألة المصرية لروثستين : تعريب العبادي وبدران ، والعبارة المذكورة بقلم الأستاذين المعربين

النظر فى عواقب الأمور . إن البلاد اليوم لتحس أنها تصل إلى بغيتها نيلا لا سؤالاً ، ولسوف يكون لهذا الإحساس أثره فيما هى مقبلة عليه من الحوادث .

وخرج عرابى فى اليوم الثامن من ذلك الشهر يقصد السفر بفرقته إلى رأس الوادى ، وكان قد سبقه إلى السفر إلى دمياط عبد العال . وسار عرابى بطريق الحسينية حتى وصل إلى مسجد الحسين رضى الله عنه . « فوقف الآلاى مقابلاً للمسجد تعظيماً وإجلالاً لسبط الرسول عليه الصلاة والسلام » ؛ ودخل عرابى المقام الحسينى مع الضباط : « وأمر بيرق الآلاى على الضريح الشريف » . ثم سار بعد ذلك نحو المحطة . فما كاد يتوسط المدينة حتى ألفى الشوارع مكتظة بالناس ، وإنهم ليهتفون باسمه فى حماسة ويحيونه تحية الزعيم المنقذ ، ويلقون فى طريقه الزهر والرياحين

وفى المحطة وجد عرابى جميع ضباط الجيش المصرى وجمهوراً من الأعيان وذوى الحيثية وعدداً هائلاً من عامة الناس فاحتفوا بمقدمه ، وكانت توزع الحلوى وتنثر الزهور فى فناء المحطة ؛ وكان يتسابق الخطباء والشعراء فى تمجيد ذلك الذى جرى اسمه على كل لسان فى مصر ؛ ووقف عرابى فى هذا الجمع خطيباً فقال : « سادتى وإخوانى : بكم ولكم قمنا وطلبنا حرية البلاد وقطعنا عرس الاستبداد ، ولا ننثنى عن عزمنا حتى تحيا البلاد وأهلها ، وما قصدنا بشعبنا إفساداً ولا تدميراً ، ولكن لما رأينا أننا بتنا فى إذلال واستعباد ولا يتمتع فى بلادنا إلا الغرباء حركتنا الغيرة الوطنية والحمية العربية إلى حفظ البلاد وتحريرها والمطالبة بحقوق الأمة ، وقد ساعدتنا العناية الإلهية ومنحنا مولانا وأميرنا الخديو ما طلبناه من سقوط وزارة المستبد علينا السائر بنا فى غير طريق الوطنية ، وتمتعنا بمجلس الشورى لتنظر الأمة فى شؤونها وتعرف حقوقها كباقى الأمم المتمدنة فى العالم ، ومن قرأ التواريخ يعلم أن الدول الأوروبية ما تحصلت على الحرية إلا بالتهور وإراقة الدماء وهتك الأعراض وتدمير البلاد ، ونحن اكتسبناها فى ساعة واحدة من غير أن نريق قطرة دم أو نخيف قلباً أو نضيع حقاً أو نخدش شرفاً ، وما أوصلنا إلى هذه الدرجة القصوى إلا الاتحاد والتضافر على حفظ شرف البلاد » . وهتف عرابى بحياة الخديو واهب الحرية ، وحياة الجيش ، وحياة الحرية ، ثم امتدح الوزارة ورئيسها ووصف البارودى بقوله : « رئيسنا الوطنى الحر القائم بخدمة الوطن وأهله » . وحذر إخوانه فى الجهادية من الوشاة والحساد ، وحثهم على الاتحاد قائلاً : « البلاد محتاجة إلينا وأمامنا عقبات يجب أن نقطعها بالحزم والثبات وإلا ضاعت مبادئنا ووقعنا فى شرك الاستبداد بعد التخلص منه » . ولنا فى هذه الفقرة الأخيرة فى خطبته عودة كما أن لنا عودة إلى فقرة غيرها نكتفى الآن بالإشارة إليها وهى قوله : « وقد فتحنا باب الحرية فى الشرق ليقتدى بنا من يطلبها من إخواننا الشرقيين على شرط أن يلزم الهدوء والسكينة ويجانب حدوث ما يكدر صفو الراحة »

واستقبل عرابى بحفاوة كبيرة فى المحطات التى وقف بها القطار كما حدث فى الزقازيق حيث كان على رأس مستقبليه فيها أمين بك الشمسى ووقف عرابى يخطب الناس هناك فكان مما قاله « أما القوة فنحن رجالها ، ولا ننثنى عن عزمنا وفى الجسم نفس ، وأما الفكر فهو منوط بأميرنا الأعظم ووزرائه الكرام . وأما العمل فهو منوط بكم فإن القوة والفكر يعطلان بفقد ثروة تربتنا الطيبة المباركة ، وقد طلبنا لكم مجلس الشورى لتكون الأمور منوطة بأهلها ، والحقوق محفوظة لذويها »

وقال عرابى فى خطبة أخرى بالزقازيق « وأنتم الآن مهيأون للانتخاب فلا تميلكم الأهواء والأغراض لانتخاب ذوى الغايات بل عولوا على الأذكياء والنبهاء الذين يعرفون حقوقكم ويرفعون المظالم عنكم » ولم ينسه فى هذه الخطبة عن امتداح الخديو ووزرائه وهتف فى ختامها قائلاً « يعيش الجناب الخديو »

وفى الزقازيق دعى لوضع أساس المدرسة الأميرية فذهب ووضع الحجر الأساسى باسم الخديو قال « وتلوت على الحاضرين خطبة ذكرت لهم فيها فوائد التعليم ومنافعه وفضل العالم على الجاهل والبصير على الأعمى ، وحرضتهم على الاهتمام بأمر تعليم أولادهم ليكونوا مستعدين لخدمة بلادهم فى المستقبل »

ثم سافر عرابى إلى رأس الوادى بعد أن أولمت له عدة ولائم فى دور بعض وجوه مديرية الشرقية مسقط رأسه ، وليس يخفى ما ينطوى عليه من معان تكريم هذا الفلاح الذى نشأ فى بيت متواضع ، على أيدى هؤلاء السادة والكبراء ؛ ففى ذلك أول مظاهر الديموقراطية الوليدة فى هذا الوادى الذى خضع قبل ذلك زماناً طويلاً لمظاهر السيادة والأرستقراطية

« يتبع » الخفيف

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤١٢ — والله لا أدرى أنا

أمين الدين الجوبانى الصوفى :

مت فى عشق ومعشوق أنا ... ففؤادى من فراق فى عنا
غبتُ عنى فمتى أجمعنى ؟ ... أنا من وجدىَ منى فى فَنا !
أيهـا السامع تدرى ما الذى ... قلتُه ؟ والله لا أدرى أنا .

٤١٣ — أرانى وإياكم طرائق قددا

فى (ثمار القلوب) : قال ابن عائشة : كان للحسن بن قيس ابن حصين — أبن شيبى : وابنة حَرورية (١) وامرأة معتزلة ، وأخت مرجئة (٢) ، وهو سنى جَماعى (٣) فقال لهم ذات يوم : أرانى وإياكم طرائق قِدَدا (٤)

٤١٤ — أول من قال (واى ويه ، واى ويه)

فى (الأغانى) : لـما قال ابن مناذر (٥) فى رثاء عبد المجيد الثقفى (٦)) :

ولئن كنت لم أمت من جوى الحزن ... عليه لأبلغن مجهودى
لأقيمن مأتما كنجوم الليل ... زهراً يلطمن حر الخـدود
موجعات يبكين للكبد الحرى ... عليه وللفؤاد العميـــد (٧)

(١) حرورية : خارجية ، فى اللسان : حروراء موضع بظاهر الكوفة تنسب إليه الحرورية من الخوارج لأنه كان أول اجتماعهم بها وتحكيمهم حين خالفوا عليا وهو من نادر معدول النسب إنما قياسه حروراوى

(٢) المرجئة تقول : لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، وتؤخر حكم صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار (الشهرستانى)

(٣) نسبة إلى الجماعة : جماعة أهل السنة

(٤) مفترقة مختلفة . فى الكشاف : القدة من قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق

(٥) فى الكامل : لمحمد بن مناذر فى شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه ، وحلاوة كلام المحدثين بعصره ومشاهدته

(٦) اعتبط عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى لعشرين سنة ، وكان من أجل الفتيان وآدبهم وأظرفهم (الكامل) مات عبطة إذا مات شابا صحيحا (الأساس)

(٧) من قصيدة جيدة روى (الكامل) جلها و (الأغانى) أبياتا منها

قالت أم عبد المجيد : والله لأبرنّ قسمه ، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مأتماً عليه ، وقامت تصيح عليه : (واى ويه ! واى ويه !) فيقال : إنها أول من فعل ذلك ، وقاله فى الإسلام

٤١٥ — الجد

قال أبو حيان التوحيدى : قال أبو غسان البصرى — وقد ذكر جاهلاً مجدوداً — إن الجَدّ ينسخ حال الأخرق (١) ويستر عيب الأحمق ، ويذبّ عن عرض المتلطخ ، ويقرب الصواب بمنطقه ، والصحة برأيه ، والنجاح بسعيه . والجد يستخدم العقلاء لصاحبه ، ويستعمل آراءهم وأفكارهم فى مطالبه ، ولو عرفت خبط العاقل وتعسفه وسوء تأتيه (٢) وانقطاعه إذا فارقه الجد ، لعرفت أن الجاهل قد يصيب بجهله ما لا يصيب العالم بعلمه مع حرمانه

قال أبو حيان : فقلت له فما الجد ؟ وما هذا المعنى الذى علقت عليه هذه الأحكام كلها ؟

فقال : ليس لى عنه عبارة معينة ، ولـكن لى به علم شافٍ استفدته بالاختبار والتجربة والسماع العريض من الصغير والـكبير ، ولهذا سُمع من امرأة من الأعراب ترقص ابناً لها وتقول : رزقك الله جداً يخدمك عليه ذوو العقول ، ولا رزقك عقلاً تخدم به ذوى الجدود

٤١٦ — البياض لباس حزن

قال بعضهم فى لباس أهل الأندلس البياض فى الحزن مع أن أهل المشرق يلبسون فيه السواد :

ألا يا أهل أندلس فطنتم ... بلطفكم إلى أمر عجيب
لبستم فى مآتمكم بياضـاً ... فجئتم منه فى زىّ عجيب
صدقتم فالبياض لباس حزن ... ولا حزن أشد من المشيب (٣)

٤١٧ — الفضيلة الجامعة والرذيلة المفرقة

فى (الـكلم الروحانية) : قال أفلاطون : الفضيلة تجمع أهلها على المحبة ، والرذيلة تفرق بين أهلها بالتنافر والبغضة : ألا ترى

(١) الخرق : الحمق والجهل

(٢) تأتى لحاجته إذا ترفق لها وأتاها من وجهها ، وتأتيت لهذا الأمر تهيأت (اللسان ، الأساس)

(٣) ولابن شاطر السرقسطى :

قد كنت لا أدرى لأية علة ... صار البياض لباس كل مصاب
حتى كسانى الدهر سحق ملاءة ... بيضاء من شيبى لفقد شبابى
فبذا تبين لى إصابة من رأى ... لبس البياض على نوى الأحباب

أن الصادق يحب الصادق ، ويستنيم إليـه[١] ، وكذلك الثقة مع الثقة ، والحسن الخلق مع الحسن الخلق ، وترى الـكاذب يبغض الـكاذب ، والسارق يخاف السارق ، وكل واحد منهما حذرٌ من مجاورة صاحبه .

٤١٨ — دعوة مظلوم !

فى (تاريخ بغداد) لابن الخطيب : قال جعفر لأبيه ابن خالد ابن برمك — وهم فى القيود والحبس — : يا أبت ، بعد الأمر والنهى والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس ؟! فقال له أبوه : يا بُنى ، دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ، ولم يغفل الله عنها. ثم أنشأ يقول :

رب قوم قد غـدوا فى نعمة ... زمنا والعيش ريّانُ غدق[٢]
سكت الدهر زمانا عنهم ... ثم أبكاهم دما حين نطق

٤١٩ — الإرشاد فى خرق الأدب المعتاد

فى (فتوحات محمد بن عربى[٣]) :

بتنا ليـلة عند أبى الحسن بن أبى عمر ابن الطفيل بأشبيلية سنة (٥٩٢) وكان كثيراً ما يحتشمنى[١] ويلتزم الأدب بحضورى ، وبات معنا أبو القاسم الخطيب وأبو بكر ابن وسام وأبو الحكم بن السراج وكلهم قد منعهم احترام جانبى الانبساط ، ولزموا الأدب والسكون فأردت أعمل الحيلة فى مباسطتهم . فسألنى صاحب المنزل أن يقف على شىء من كلامنا ، فوجدت طريقاً إلى ما كان فى نفسى من مباسطتهم فقلت : عليك من تصانيفنا بكتاب سميناه (الإرشاد ، فى خرق الأدب المعتاد) فإن شئت عرضت عليك فصلاً من فصوله . فقال لى : أشتهى ذلك . فمددت رجلى فى حجره ، وقلت له : كبّسنى ! ففهم عنى ما قصدت ، وفهمت الجماعة فانبسطوا ، وزال ما كان بهم من الانقباض والوحشة ، وبتنا ليلة فى مباسطة دينية

(١) من المجاز : استنام إليه : سكن سكون النائم (الأساس)

(٢) عيش غدق : مخصب واسع . قال الزجاج : الغدق (بالفتح) المصدر والغدق (بالكسر) اسم الفاعل . وقرئ بهما : لأسقيناهم ماء غدقا . والغدق الكثير (اللسان ، الكشاف)

فى (تاريخ الطبرى) : قال الأصمعى : سمعت يحيي بن خالد يقول : الدنيا دول ، والمال عارية ، ولنا بمن قبلنا أسوة ، وفينا لمن بعدنا عبرة

(٣) فى (القاموس المحيط) : ابن العربى أبو بكر المالكى وابن عربي محمد بن عبد الله الحاتمى الطائى . وفى (نفح الطيب) : كان بالمغرب يعرف بابن العربى بالألف واللام واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقا بينه وبين القاضى أبى بكر بن العربي

(١) احتشم منه وعنه ولا يقال احتشمه وأما قول القائل . لم يحتشم ذلك فانه حذف من وأوصل الفعل (اللسان ، التاج) وفى الحشمة والاحتشام أقوال كثيرة للغويين ، والحشمة الغضب والاحتشام التغضب أيضا

« النيل » نعسان ...

نفثة من ليالى الساهرة

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ذهبتُ لهُ... والأنجمُ البيضُ حوَّمٌ
على خمرِه كالطير تحسو وترشُفُ
لها رعشةٌ مسحورةٌ فى جَنانه   وهمسُ حديثٍ فى الحنايا مرفرف
صبتْهُ الرُّؤى فانساب نعسان مثلما
على راحةِ المحبوبِ هومَّ مُدْنفُ ...
وتمَّمَ كالجبَّار ميْسَلَهُ السكرى
وفى فمهِ ذكرى البطولات تهتف !
عتِىٌّ يهابُ الدهرُ حرمةَ ساحِه
ويفزَعُ إعصارُ الزمانِ المطوَّفُ
فكيفَ تغشّاه السكرى ؟ ! وسجا بِه
وسجَّاه فى الأحلام سِرٌّ مُغلَّفُ؟!
خشوعٌ وتسبيحٌ وطهرٌ ... كأنهُ
بِكفٍّ الليالى أو بِكفَّىَّ مصحفُ !
وصمتٌ على الشطآنِ أسمع خلفه   صدى الأبدالمخنوقِ للرُّوح يعزف
وألمحُ أشباحَ الفراعينِ فوقهُ
رهابينَ تتلو اللوحَ والليلُ «أسقف»
ودنيا أغانٍ فى الضِّفافِ نشدتها   فعدتُ وأوتارى من اليأس تهرف
فيا « نيلُ » كاشِفنى السريرةَ واسقنى
من الغيبِ سُلوانى إذا كنتَ تعرف
أتيتُكَ مذبوحَ الخيالِ معذَّباً   وكأسِى من سمِّ البليّاتِ تنزف
وفى صدرىَ المهدودِ جُرحٌ وخنجرٌ
ونارٌ على خدَّيهِ بالرُّوحِ تعصفُ
وذكرى على شطَّيكَ حنَّ لعهدها   وجُنَّ عليها عاشقٌ متلهِّفُ
فهلْ فيكَ للمحزونِ دمعةُ راحِمٍ
تُراق على ذِكرى الحبيب وتذرفُ ؟!...

« وزارة المعارف »   محمود حسن اسماعيل

ســـــوانح طائفة !

للأستاذ أحمد فتحى

قضيت بالشعر من دنياى أوطارى   طوبى لدنياى أو طوبى لأشعارى
هذا البيان، وعندى تبرمعدِنه   أدّى إلى المجدِ معياراً ، بمعيارِ
يا للروائع ، كم تجلو عوارِفها   ليلَ الحوادثِ عن صُبْحٍ وأنوار
ودِدت أدرك من شعرى وحكمته   ماغابَ عن فِطنتى فى غيب أستار
قَلّبْتُ فيه وجوهَ الرأى أجمَعها   وطالَ فى البحثِ تجوالى وتسيارى
ثم انثنَيت إلى نفسى أسائِلها   هل يكسونَّ البيان الهيكل العارى
وما انتفاعُ أخى الأشعار عاليةً   بصاغة الحمدِ، من حشد وسُمَّار
وليس كالهاتِفِ المصغِى، وإن خَلقَتْ   ديباجتاهُ ، ولا كالكاتِبِ القارى !
ألستُ بالصائغ الشعر الذى هتفتْ   به المواكبُ فى ساحٍ ومِضمار
ماذا أفدْتُ بأشعارى وروعتِها   سوى عُلالةِ تخليدٍ لآثارى ؟ !
وما الخلود بمنْسورٍ لعاريَة ...   غير الحسيسين من ترب وأحجار
ماذا أصابَ امرؤ القيسِ الذى عرفوا   من عبقريتِهِ مأثورَ أخبار ؟ !
غنّت بآياته الأجيال واستبقتْ   تُزْجى له الحمدَ فى موروثِ أسفار
ولاتَ حينَ ثناءٍ ليس يسمعُهُ   إلا الذى صاغهُ من جود مكّار !
فِيمَ الثناء على الموتَى، أتمنحُهم   دُرَّ المدائح ، قنطاراً ، بقنطار ؟
وهل يَردُّ عليهم طيب عيشِهمو   طيبُ الثناء ، إذا وافى بمقدار ؟
ياضيعةَ الشعر، إن لم تمتلئ يدهُ   بدرهمٍ ، يكفُلُ الدنيا ، ودينار

* * *

ياهاتفَ الوحى أقصِرْ زدْتَنا شجَناً   وهجْتَ برْحَ الجوَى، من برْح تذْكار
ماحيلةُ الشعر فى قوم إذا حشَدوا   فى أهلِهِ كلَّ طبَّال وزمّار ؟!
حِمَى البيانِ استباحوهُ، وكان له   محض التجلة فى قُدس وإكبار
قضَوا لذّته فى الأرض وانبعثوا   يستأثرون بغاياتٍ وأوطار
إنى لأبصره هيمان مطّرحاً ..   يشكو الجنايةَ من إيذاء أغرار
مُروَّعاً تترامى الكارثاتُ به..   وتبتَليهُ بزلزالٍ وإعصار !

بضاعةً تهبطُ الأسواق كاسدةً   لا بائعٌ رابحٌ فيها ، ولا شارِ
وكان بالأمس أغلى ما يُعزُّ به   مجدُ القبائلِ ، فى بيدٍ وأمصار
يُعلِى ويُدنِى ، كما شاءت رغائبُه   رفعاً وخفضاً ، لأقدارٍ ، وأقدار
يَبنى ويهدِم دنيا الخلق من عجبٍ   كأنه قُدْرة فى كفِّ جبَّار !
ويرزُقُ الناسَ دنيا من فواضِلِه   فيحاءَ ، تُزهى بجنَّات وأنْهار
إذا تبسَّمَ فالأكوان باسِمةٌ   كأنها الروضُ فى إشراقِ آذار
وإن تجهَّمَ فالأيامُ عابسةٌ   نكراءُ ترْمِى بأكدارٍ وأوضار
فما لِدولته دالَت ، ومال بها   إلى الحضيض ملام الشانىء الزارى
كأن قومى رأوْا افضل الجحود على   أصحابه ، فأثابونا بإنكارِ !
والشعرُ أوْلَى بإعلاء وتكرمة   لكن جُزينا على فضلٍ بأصغار !
أم هذه شِرْعةُ الأيام ، من سَفهٍ   تختالُ ما بينَ إقبالٍ وإدبارِ
وقد تعزَّيت عن يومى بأمس ، وفى   غدى القريب رجاءٌ غيرُ مُنْهار !

***

بنى العروبةِ هذا صوتُ شاعرِكم   كأنهُ نغمٌ من عزفِ أوتار
تلمَّسوا المثلَ الأعلى لديه ، وكم   يستلهمُ الحقُّ من آياتِ أشعار
ولا تضيقوا به إن يَرْم غادِيَكمُ   بموجعٍ من شديدِ القولِ هدَّار
قد يبلغُ الشعبُ بالآداب ساميةً   ما ليس يبلغُه بالسيف والنار
دعوكمو من قديم المجدِ ، وانتبذوا   ذاكَ الفخارَ ، بتاريخ وآثار !
المجدُ يحظَى به السارِى إليه وفى   جنبيه قلبٌ جَليدٍ غيرَ خوَّار !

(القاهرة)   احمد فتحى

أمنيـــــة

[لما ابتسم الربيع ابتسمت]

للآنسة جميلة العلايلى

ياخالق الحسن هبنى الحسن أجمعه   علّى من الحسن أروى روح ظمآن
قد شفنى الحسن ممنوعاً فأرقنى   صوت ملحٌّ وراء الأفق نورانى
روح تهادت وشاق الروح فتنتها   إلى عوالم لمْ تخطر بحسبان
هبنى الكمال وهبنى صورة وضعت   فى الخلد ما بين أضواء وألحان
قلبى من الشوق أوصال ممزقة   يرجو لقاء فؤاد حالم حان
روحاً أذوّب روحى فى مناعمها   كأنها لم تكن روحاً لإنسان

جميلة العلايلى



غرفة ولسون

اتجاهات حديثة فى العلم التجريبى — هذه أنابيب النيون عيون خير من عيوننا — كيف كشف أندرسون البوزيتون — غرفة ولسون هى أقصى ما بلغه العلم التجريبى من العظمة والدقة

للدكتور محمد محمود غالى

دعوت ذات مرة العالم الكبير جييه A. Guillet أستاذ السوربون لمشاهدة بعض تجارب كنت أقوم بها خاصة بدراسة ميوعة السوائل، فلبى دعوتى وشرفنى بحضوره من السوربون إلى معهد باستير، وظل ردحاً من الوقت يروح جيئة وذهاباً أمام الحوض الزجاجى الذى أعددته لإجراء هذه التجارب.

مضت أيام صعدت بعدها سلم السوربون واستأذنت فى زيارة الأستاذ، وعند ما دخلت معمله وجدته يقوم ببعض التجارب العلمية الخاصة بالميوعة أيضاً، ولا أدرى إن كانت زيارته السالفة هى التى جعلته يهتم بهذه الناحية التجريبية من البحث العلمى، التى أعلم أنها عند الأستاذ أقل شأناً من غيرها، ولا سيما فى وقت كنت أعلم درجة اهتمامه بالخطوات التجريبية الخاصة بالمرناة[1] (التليفزيون).

أما موضوع دراسة الميوعة الذى شغل الأستاذ جييه فهو خاص بالطيران، ذلك أنهم يؤملون أن تتمكن الطائرات يوماً ما أن تطير فى الطبقات العليا من الجو التى يسمونها « ستراتوسفير » ويزيد ارتفاعها عن ١٤ كيلو مترا، وقد دلت التجارب على أن الطائرة فى هذه الحالة تخترق طبقات من الجو تزيد درجة الحرارة فيها عن ٥٠ درجة، وطبقات أخرى تنقص فيها درجة الحرارة عن الستين، وهو ما حدث للعالم بيكار، عند ما صعد فى كُريّته التى صنعها من الألمونيوم.

ويتحتم مع هذا الاختلاف فى درجة الحرارة دراسة خواص الزيوت المستعملة فى الطائرات: أى دراسة ميوعتها مع درجة الحرارة، والعوامل الطبيعية الأخرى، وإلا صعب استعمال هذه الزيوت فى محركات الطائرات.

وجدت الأستاذ أمام بندول بسيط من الخشب من صنعه أو صنع عامل فى معمله، وهذا البندول يُوَصِّل تياراً كهربائياً ويقطعه فى كل مرة يَهْتَزُّ فيها، ورأيت أمام العالم أنبوبة صغيرة من أنابيب النيون التى شاع استعمالها الآن فى الإعلانات ليلاً فى الشوارع، وكرة نحاسية معلقة بسلك يحمل فى أحد أطرافه مؤشراً يدور دوران السلك فتدور معه الكرة فى السائل المراد اختباره، وكلما أكمل البندول هزة اتصل أحد أطرافه بحوض من الزئبق، فيمر التيار الكهربائى وتتوهج الأنبوبة التى لا تلبث أن تنطفئ بمبارحة البندول للزئبق، وهكذا كلما كان السائل مائعاً تأخرت الكرة قليلاً فى دورانها عن السلك الحامل لها أى عن المؤشر، وهذا المؤشر لا يظهر للعين إلا فى الفترات القصيرة التى تتوهج فيها أنبوبة النيون[1]

التفت إلى الأستاذ وقال مشيراً إلى أنبوبة النيون: « هذه

(١) المرناة هو لفظ وضعه الأستاذ على الجارم بك تعريبا لكلمة « تليفزيون » وهي من الفعل رنا أى نظر.

١) هذه الطريقة الستروبوسكوبية لدراسة ميوعة السوائل تنسب للأستاذ جييه وهي منشورة فى محاضر المجمع العلمى الفرنسى المجلد ٢٠٠ بتاريخ ٢٩ ابريل سنة ١٩٣٥ ص ١٥٢٢

عيون أحسن بكثير من عيوننا » ، وهو بهذا التعبير الصادق يلخص لنا الاتجاهات الحديثة فى العلم التجريبى ، الذى بات لا يعتمد على حواسنا كما كان الحال فى زمن قريب بقدر ما يعتمد على الوسائط الطبيعية .

والواقع أن العين وهى أعظم ما نملكه من حواس هى جهاز متوسط لا يُعَدُّ شيئاً مذكوراً بجانب الوسائط العلمية الأخرى التى تفوقها حساسية وتَضْبُطُها دقة ، ولو أن الإنسان اعتمد فى كل ما يرجوه من تقدم فى أعماله التجريبية على حواسه ، لما تقدم العلم للحد الذى هو فيه اليوم ، ولما اختلف كثيراً العهد الذى نعيش فيه عن أقدم العهود

إنما ذكرت تجارب جيبه واستعماله غاز النيون والظاهرة المعروفة باسم «الستروبوسكوبى» Stroboscop'e[1] لأبين للقارئ الاتجاهات الحديثة فى العلم التجريبى ، فلا نُرْجِعَنَّ المسائل للمحسوسات وحدها ، وإلا عدنا لعصر الإغريق عندما كان الدليل الفلكى لا يزيد على بضع مئات من النجوم ، أو عصر العرب عندما كنا نقضى عشرة أيام لكى نسافر من القاهرة للأسكندرية ، حيث كنا مجبرين أن نتبع فوق ظهر الإبل حركتها الدورية أكثر من مائة ألف مرة ، وهى الحركات الناشئة عن خطوات الجمل الذى يحملنا بتثاقل لقطع مثل هذه المسافة البعيدة جداً فى العهد المنصرم والتى أصبحت على طرف الثمام فى العهد الذى نعيش فيه .

* * *

وهكذا فى معظم التجارب الطبيعية اليوم لا تأتى العين إلا فى المرحلة الأخيرة منها . ولعل أحسن ما أقدمه من مثال للقارئ هو أن أشرح له « غرفة ولسون » ، وهو جهاز يرسم لنا مسارات الأشعة الكونية ، وهى الأشعة التى قدمنا أنها آتية من عوالم بعيدة لا نعرف مصدرها ، وتخترق طبقات الجو وما يقابلها من مادة ، والتى قدمنا أنها مكونة من الكترونات وبوزيتونات سريعة ، وهى أصغر ما نعرفه من الجسيمات المكونة للذرة

هذه الغرفة يتضاءل مجهود العين بجانب ما يدور فيها من حوادث جسام ، لا تدركها العين إلا بعد أن تصبح لهذه الحوادث آثار تدل عليها ، وهو نوع من التحايل التجريبى ، وُفِّق إليه العلماء كل التوفيق

ويتكون الجهاز من وعاء بداخله مكبس يُغَيِّر ضغط ما بداخله من غاز أو بخار ، فعند مرور جسيم من جسيمات الأشعة الكونية يحدث عدد من الأيونات فى هذا الغاز وتساعد حركة المكبس فى نفس الوقت على تكاثف قطرات الماء الرفيعة على الأيونات الحادثة وذلك من تخفيف الضغط دفعة واحدة — وهذا التكاثف الذى يحدث عند مسار الجسيمات الكونية يمكننا من رسمها على اللوح الفوتوغرافى فنرسم بهذا فى الواقع مسارات الجسيمات الكونية وتسمى هذه الطريقة بطريقة ولسون أو طريقة الضباب لولسون.

ولا يفوتنا أن نذكر أن سكوبيلزين Skobelzin فى سنة ١٩٢٩ كان أول من قام برسم مسارات لجسيمات تفوق طاقتها طاقة جسيمات المواد الراديومية ، فكان أول من استعمل طريقة الضباب المتقدمة فى أبحاث خاصة بالأشعة الكونية ، وطريقة ولسون[1] هذه تسمح بمعرفة الطبيعة والطاقة التى عليها جسيمات الأشعة الكونية من درجة انحناء مساراتها واتجاه هذه المسارات ودرجة التأين الحادثة من هذه الجسيمات ، وذلك بتعريض الغرفة لمجال مغناطيسى قوى

* * *

وكم كان عظيما للعلم ورافعاً للعرفان أن تتقدم الأبحاث الخاصة بغرفة ولسون للحد الذى سمحت فيه للعالم الكبير أندرسون Anderson بكشف الذرة الموجبة للكهرباء التى نسميها بوزيتون Positon وقد منحه المجمع السويدى من أجل هذا الكشف جائزة نوبل للطبيعة

(١) يطبقون اليوم هذه الظاهرة فى نواحى عملية عديدة فيدرسون بواسطتها مثلا الأثر الذى يحدث فى القطع المختلفة للآلات وهى فى حالة الحركة فنستطيع أن نرى قاطرة ثابتة أمام أعيننا لا تتحرك فى وقت نديرها بسرعة تزيد عن مائة كيلو متر فى الساعة ، وتوجد محطة تجارب لقاطرات السكك الحديدية من هذا النوع فى « أيفرى » من ضواحي باريز ، حيث ترى رأى العين القطع المتحركة فى القاطرة ثابتة فى وقت تصم حركتها فيه الآذان

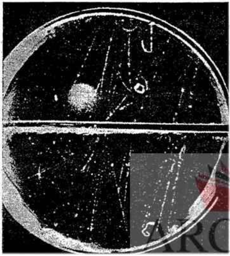
(١) نسبة إلى س . ت . و ولسون C. T. R. Wilson العالم الانجليزى المعروف وهو أول من استعمل طريقة تكاثف البخار عند تمدد الغاز الفجائى فى أبحاثه الطبيعية المعروفة

لقد استعان أندرسون فى بادئ الأمر فى تجاربه التى قام بها فى باسادينا ، وكينز Kunze فى تجاربه التى قام بها فى روستوك ، بمجال مغناطيسى قوى يبلغ ١٨ ألف جوس ، فوجدا أن مسارات جميع الجسيمات المكونة للأشعة تنحنى فى مثل هذا المجال القوى ، وبفرض أن كتلة هذه الجسيمات هى كتلة الألكترون فإن طاقتها تقع بين $١٠^{٨}$ ، $١٠^{٩}$ ألكترون فولت ، بل تبلغ طاقة بعضها $١٠^{١٠}$ الألكترون فولت ، وقد وجدا بادئ الأمر أنه بينما ينحنى نصف هذه الجسيمات فى اتجاه معين داخل غرفة ولسون ، ينحنى النصف الثانى فى الاتجاه الآخر ، مما يدل على أن شحنة نصف عدد هذه الجسيمات سالبة وشحنة النصف الآخر موجبة

على أن استمرار البحوث فى دراسة المسارات المنحنية فى اتجاه الجسيمات الموجبة الذى قام به أندرسون أدى إلى كشف غريب يعد من أهم اكتشافات العلوم الطبيعية الحديثة . فى إحدى الفوتوغرافيات العديدة التى قام بها أندرسون ظهر بوضوح مسار لجسيم اخترق لوحة معدنية موضوعة داخل الغرفة ففقد هذا الجسيم باختراقه اللوحة جزءاً من طاقته لدرجة وضح فيها اتجاه الجسيم الذى دل باتجاهه على أن شحنته موجبة . ولقد كان مساره طويلاً للحد الذى لا يمكن اعتباره مع طول هذا المسار « بروتوناً » (نواة الهيدروجين) وكتلة هذا الأخير ، أى البروتون ، تساوى ١٨٥٠ مرة قدر كتلة الألكترون ، عندئذ اقترح أندرسون إمكان وجود جسيم موجب الشحنة قائم بذاته يختلف عن البروتون ، وهذا الجسيم الذى كشفه تقرب كتلته للألكترون عن البروتون وقد سمى فيما بعد « بوزيتون »

ولقد ثبت رأى أندرسون هـذا بتجارب أخرى عديدة قام بها بلاكت Blackett وأوشياليني Occhialini اللـذان توصلا لتحسين طريقة غرفة ولسون كما توصلا لإثبات ما هسر أندرسون عنه الستار .

وينحصر عمل بلاكت وزميله أوشياليني فى أن تمكنا من أن يجعلا الجسيمات الكونية هى التى تقوم بنفسها بعمل الفوتوغرافيات لها فى الوقت الذى تمر فيه ، وذلك بأن تمر أولاً هذه الجسيمات فى عدادين من المدادات التى سبق أن شرحناها ، فينتج عن التأين الحادث فى هذه المدادات زيادة فى فرق الضغط الكهربائى وبالتالى حركة ميكانيكية ، هى التى تقوم بتحريك المكبس فى غرفة ولسون ، بحيث أن الغرفة لا تعمل إلا عند مرور جسيم كونى



(شكل ١) حزمة تظهر فى الجزء الأعلى لأنبوبة ولسون وحزمة أخرى تظهر فى لوح الرصاص (المجال المغناطيسى ١٧ ألف جوس)

عندئذ بات من المؤكد ألا تحصل هذه الفوتوغرافيات إلا عند مرور الجسيمات الكونية . ومما يجدر بالذكر أنه قبل استعمال هذه الطريقة كان يلزم أن يقوم الباحث بعمل مئات الفوتوغرافيات ليحصل على واحدة أو اثنتين من الصور التى يرى عليها مسارات هذه الجسيمات الكونية ، لأنه عند ما يقوم الباحث بتحريك المكبس والجهاز الفوتوغرافى لا يعلم إذا كان يمر فى نفس الوقت جسيم من الأشعة الكونية ، أما الآن فإنه فى كل مائة صورة ترى حوالى ٧٥ صورة مرسوماً عليها مسارات هذه الجسيمات المتناهية فى الصغر .

ويتلخص الموقف اليوم أنهم توصلوا لعمل أجهزة تسمى عدادات الألكترونات وتوصيلها بعضها ببعض ، بحيث لا تتأثر إلا بمرور جسيم كونى يخترق العدادات معاً ، وأنه بتأثر هـذه

العدادات يتحرك المكبس الموجود فى جهاز آخر ، يسمى جهاز ولسون ، كما يتحرك الجهاز الفوتوغرافى ، بحيث أن أصغر مكونات الكون وهو الألكترون عند مروره أو مرور شقيقه البوزيتون يسبب كل منهما حركة كل هذه الأجهزة ، فتسمعه أولاً ثم ترى مساره ثانياً ، بل ترى أثر ما أحدثه من تهدم وتفتت فى ذرات المادة التى اخترقها



(شكل ٢) زوجا ألكترون وبوزيتون يظهران فجأة فى غرفة ولسون من أبحاث شادويك (Chadwick) وبلاكت (Blackett) وأوشياليني (Occhialini) منشورة فى محاضر الجمعية الملكية الانجليزية المجلد ١٤٤ ص ٢٣٥ (١٩٣٤) ، (Nature) جزء ١٣١ ص ٤٧٨ (١٩٣٣)

وفى الشكل (١) ترى غرفة ولسون وترى حزمة من الجسيمات تظهر فى الجزء الأعلى من هذه الغرفة كما ترى حزمة من الجسيمات المطرودة من لوحة الرصاص الموضوعة داخل الغرفة. وفى الشكل (٢) يرى القارىء زوجين الكترون ، وشقيقه البوزيتون ، الجسيم المكتشف حديثاً ، يظهران فجأة فى غرفة ولسون ، وتعد غرفة ولسون ، وما يدور فيها من حوادث جسام أعظم ما توصل إليه العلماء فى البحث التجريبى .

وإلى اليوم الذى قد يتاح فيه القيام بتجارب أعظم أثراً من التجربة السابقة ، عند ما يتاح للعلماء أن ينتفعوا مثلاً بالطاقة والنشاط الموجودين فى المادة فى مرافق حياتنا المختلفة ، عند ما لا نعتمد فيما نحتاج إليه من طاقة إلى ما هو معروف من الفحم ، والوقود والكهرباء ، عند ما يصبح مصدر ما نحتاج إليه القليل من المادة والتافه من الأشياء ؛ فإن التجربة الخاصة بغرفة ولسون ستظل حتى هذا الوقت من أعظم وأدق التجارب العلمية التى تحققت فى وقتنا الحاضر .

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة


تناولوا
الشاى
المثلج
فى
فصل
الصيف
منعش مرطب
للجسم مفيد
للصحة
طريقة عمله
جهز شايا ثقيلاً واسكبه على مبشور الثلج ثم اضف
اليه السكر والليمون او اللبن حسب ما يلائم ذوقك
الشاى الجيد وارد الهند وسيلان وجاوه وسومطرا



دراسات فى الفن

طابعنا المصرى فى فننا

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

منذ أحس المصريون حاجتهم إلى إيجاد كيان ذاتى خاص بهم يميزهم من غيرهم ، وأهلُ الفن منهم يجهدون أنفسهم سعياً وراء فن قومى يكون له طابعه المصرى الخاص الذى إذا اتضح وتجلى ثبت للعالم كله أن مصر لها ذوق فنى قائم بذاته ، وأنها بذلك الفن أمة جديرة بالاعتناء حقيقة بأن تمضى بين الشعوب الحية فى هذا الزمان ؛ فإنه لا شىء يميز أمة من أمة إلا الفن ، لأنه النتاج النفسى المعبر عن إحساسهم والذى لا يحسه غيرهم ، ولا يمكن أن يحسه غيرهم إلا إذا عاش معهم فى ثنايا مجتمعهم وعلى أرضهم وتحت كل المؤثرات المادية والمعنوية التى تؤثر فيهم . وهذا شىء يستلزمه الفن وحده ؛ وهو فى هذا يختلف عن العلم الذى تستطيع كل العقول البشرية أن تساهم فيه وأن تتشابه . فأنت إذا ذكرت لأى إنسان الرقم « ٥ » لم يبعد أن يطوف بذهنه أن الخمسة مجموعة من الاثنين والثلاثة ، أو من الواحد والأربعة ، ولكنه لا يمكن أن يخطر على بال أحد من غير المصريين أن الرقم « ٥ » له معنى آخر وهو مقاومته للحسد ، ذلك أن هذا التحول بمعنى الرقم الأصلى إلى هذا المعنى العرفى الجديد شىء اصطلح عليه المصريون وحدهم وقد هيأتهم له عوامل ودوافع لم تتخلق فى غير البيئة المصرية ، وهذا التحول الجديد اسمه عند أصحاب البلاغة كناية أو مجاز أو أى اسم آخر من هذه الأسماء التى تشير إلى أن الكلمة قد خرجت عن معناها الأصلى إلى معنى جديد . . . ولا شىء يصنع هذا الصنيع بالكلمات إلا الفن

هذا والمصرى يتعلم الحساب كما يتعلمه الفرنسى ولكنه لا يعرف للرقم (٥) المعنى الذى نعرفه . إن الفرنسى يدرس الهندسة النظرية كما يدرسها اليابانى ، ولكنه حين يطبقها وحين يخرج بها من العلم النظرى إلى الفن المنفوث فيه من ذوقه وروحه كانت عمارته التى يجمع علمه بالهندسة لإنشائها مختلفة اختلافاً تاماً فى مظهرها وتكوينها عن عمارة اليابانى التى ينفث فيها هو أيضاً من ذوقه وروحه ما ربته اليابان فى نفسه بمناخها ، وطبيعة أرضها وعادات أهلها ، ودينهم وأخلاقهم أيضاً .

فإذا اتفقنا على أن الفن وحده هو الذى يميز الشعوب بعضها من بعض — وهذا أمر أظن أنه قد أصبح ميسوراً أن نتفق عليه — رأينا أهل الفن المصريين الذين أحسوا وجوب ابتداع فن مصرى حديث محقين منصفين ووطنهم المسكين الذى طال شوقه إلى العزة الذاتية التى لم يعد لنا سبيل إلى تحقيقها إلا عن طريق الفن ما دمنا قد أدركنا أن الصناعات والعلوم إذا تشابهت فى الأمم لم يكن هذا مما يمس كيانها الذاتى ، وما دمنا مؤمنين بأننا متخلفون فى هذه الآفاق جميعاً عن غيرنا فلن نلحقهم فيها إلا بعد جهد .

نحن إذن لا نملك إلا أن نعجب بكل فنان مصرى يعمل لإنشاء الفن المصرى أو ينادى بإنشائه لأن فى عمله هذا سعياً إلى تثبيت عزتنا القومية .

ونريد الآن أن نتعرف الطريق الذى يؤدى بنا إلى هذه الغاية النبيلة ، وقد يرى القارىء بعد الكشف عن هذا الطريق أن مصر لا تزال عذراء وهى المليحة الحسناء ، وأن الفنان المصرى الظمآن إلى الجمال لا يزال بعيداً عنها كل البعد يبحث عن عروسه فى الفضاء ، وفى الهواء ، وهى تكاد تتخاذل من الشوق إليه ، وتكاد تستخذى من كثرة ما تبرجت وازينت وخطرت أمام بصره

وتهادت أمام بصيرته ، وهو يأبى إلا أن يغمض دونها عينيه ، وأن يغلق دونها نفسه كأنما هو يتقيها اتقاء وكأن بينه وبينها ثأراً .

وقد يحسن قبل أن نزف هذه العروس إلى هذا التعشق الحيران أن نحدثه عنها قليلاً

فما هي مصر ؟

هي أولاً هذه الأرض التي تعرفها والتي تتشكل الطبيعة فيها بثلاثة أشكال بارزة قد ترادفها أشكال أخرى . أما هذه الأشكال البارزة فهي هذه البيئات الجغرافية الثلاث : بيئة الصحراء ، وبيئة الريف ، وبيئة السواحل . وأما البيئات الأخرى فنذكر منها بيئات المدن ، والواحات ، والبحيرات . ومصر هذه يشقها من الجنوب إلى الشمال نهر النيل ، وتتناثر في شمالها وشرقها البحيرات ، ويجاورها من الجنوب السودان فيلون أهل جنوبها ببعض لونه الذي يمتصه من بيئته الجغرافية . وتكاد مصر بعد ذلك تنعزل عن أراضي جيرانها

أما سماء مصر فصافية مكشوفة لا تتلبد إلا عند السواحل فقط ، وأما مناخها فمعتدل هادئ أميل إلى الحرارة لا يصطخب ولا يبرد إلا عند السواحل أيضاً

هذه هي بيئة مصر الجغرافية وهي كما ترى بيئة سهلة لا تعقيد فيها ، وقد طبعت هذه البيئة السهلة أهلها بهذه السهولة ، فالمصريون فيهم من الطفولة البشرية ما في أرضهم وجوهم من الطفولة والسلاسة ، وهذه الطفولة نفسها هي أخصب مجال للفن إذا اتفقنا على أن الفن الصادق هو ما كان مبعثه الحس لا التفكير . والشعب المصري يشهد بهذه الحقيقة ؛ فما من مصري إلا وله اتجاه فني خاص ؛ وأغلب المصريين يتجهون إلى الغناء والنكتة ، والغناء فن ، والنكتة فن . هذا إلى جانب ما يشيع في المصريين على مر الزمن من إدمانهم لفن « التدين » الذي آثروه على بقية الفنون فتيسر لهم من ألوانه ما تتابع عليهم وعلى حياتهم منذ ألَّهوا فراعينهم إلى هذا الزمن الذي وحدوا فيه الله توحيداً صريحاً ، ولكنهم مع هذا التوحيد أبوا إلا أن يتزلفوا بالتقديس إلى أرباب القباب من الموتى ، وأهل الزعامة من الأحياء .

فالشعب المصري إذن شعب فنان لأن أرضه تبعث الفن بما لها من السهولة والنقاء

فإذا فرغنا من دراسة مصر جغرافياً وجب علينا أن ندرسها بعد ذلك اجتماعياً . وقد لا يجهدنا هذا الدرس إذا سلكنا إليه أقرب السبل فقلنا : إن المصريين سكان هذه الأرض المتشكلين بأشكالها ، هم إما صحراويون طبعتهم الصحراء بطبعها ، وإما ريفيون شكلهم الريف بشكله ، وإما ساحليون لونهم البحر بلونه ... ولعلنا نعرف أن كل بيئة من هذه البيئات الجغرافية تؤثر في طباع أهلها تأثيراً خاصاً ، فأبرز ما يميز أهل الصحراء الشمم لدوام حريتهم وإبائهم الضيم ؛ وأبرز ما يميز أهل الريف الصبر لخضوعهم الإجباري لنظام الزراعة ومواقيتها ؛ وأبرز ما يميز أهل السواحل روح المغامرة التي يبعثها في نفوسهم التجول في البحر . وإلى جانب هذه الصفات البارزة في أهل كل بيئة من هذه البيئات الجغرافية صفات أخرى لابد أن يحسها الفنان، وقد يستطيع الباحث المتفهم أن يستطلعها

فرغنا الآن من مصر المعاصرة فألممنا بها أرضاً ومجتمعاً . ولكن مصر المعاصرة هذه ليست مصر كلها ، فإن لمصر تاريخاً ماضياً ، وإن لها آمالاً في المستقبل ، وإن لها في الحاضر نفسه صلات بغيرها من الشعوب ؛ وتاريخ مصر الماضي يتمم كيانها الحاضر ، ويساهم في رسم طريق المستقبل وتعبيده ، وإن آمالها التي ترجوها في المستقبل تحيا في حاضرها وتوقظ من ماضيها ماتستلزمه وما تريد أن تعتمد عليه ، وإن صلاتها الحاضرة بغيرها من الشعوب والأمم تعمل هي أيضاً في تبلور كيانها ، ولعل هذه الصلات هي أشد العوامل تأثيراً في الذات المصرية الناشئة ، ولعلها أشدها خطراً على استقلال هذه الذات ، فهي إذا دبت إلى العلم والصناعة ارتقت بالمصريين ، ولكنها إذا تمكنت من الفن المصري مضغت مصر وقذفتها إلى المحتكين بها لقمة سائغة

وقد يكون من الخير للانسانية كلها أن تندمج وأن يتوحد ذوقها وحسها ، ولكن يظهر أن هــذه أمنية يصعب تحقيقها ، ويظهر أيضاً أن تحقيقها لن يتم إلا إذا سرى قانون بقاء الأصلح ، فإذا كان هذا حقاً فإنه يتعين علينا أن نجاهد كي نكون من الصالحين حتى لا تلتهمنا الإنسانية إذا كانت ماضية إلى التوحد . وإنها لماضية إليه . وكل الدلائل تدل على هذا المضي وإن كنا نظن أن الفن وحده هو الذي سيبقى مميزاً لأصحاب الأوطان المختلفة بعضهم

من بعض ، وإن كان هذا التميز سيتقلص كثيراً حتى ينحصر في شكل الفن وأسلوبه وبعض روحه إلى أن يشاء الله غير ماشاء منذ جعل الناس شعوباً وأمماً ليتعارفوا

وعلى أي حال فنحن لا نزال في حاجة إلى فن مصري قوي . وها نحن أولاء رأينا أن الشعب المصري مفطور على الفن بطبعه : خلقته فيه بيئته وأرضه؛ فهل استطاع المتصدون لإبداع الفن في مصر هذه الأيام أن يشبعوا هذا الشعب فناً مصرياً ؟

هل يقرأ المصريون من أهل البيئات المصرية المختلفة ما يكتبه أدباؤنا المصريون؟ وهل يفهمه ويحسه الأميون منهم إذا قرىء عليهم؟

وهل يستطيع المصريون أن يستمتعوا بالصور التي رسمها رساموهم ؟

وهل يتغنى المصريون بهذه الأغاني التي يرتلها المغنون اليوم؟

وهل ينشد المصريون هذا الشعر الذي يكتبه شعراؤهم وهل يعطفون عليه ويحبونه ؟

هل يقرر الواقع شيئاً من هذا ؟ كلا ؛ فالواقع يقرر أن أهل الفن عندنا في واد وأن الشعب المصري في واد . ويظهر أن ذلك راجع إلى أن نهضة الفن عندنا صاحبت نهضة الثقافة فخرج الفنانون المصريون من بين المثقفين ، والثقافة المصرية الحديثة كما هو واضح ثقافة مترجمة منقولة ؛ وليتها كانت مترجمة عن أصل واحد قريب من طبعنا ، وإنما هي أمشاج من ثقافات شعوب مختلفة لكل منها ذوق ولكل منها طبع . ولقد كان هذا الاضطراب سبباً في اضطراب العقل المصري المثقف ، واضطراب النفس المصرية المثقفة . فالفنان المصري المثقف يخرج فناً قد عبثت به الثقافة المضطربة هذه فهو كالخليط المتباعد الأخلاط ، وليس كالمزيج الذي اندمجت عناصره فأصبح بهذا الاندماج عنصراً جديداً له ذات جديدة وكيان جديد

لهذا يستوحش المصريون هذه الفنون المثقفة ، ولهذا يحب المصريون فنونهم الساذجة البلهاء التي ينتجها فنانون لا يعرفهم المثقفون وقد لا يعرفهم الشعب نفسه وإن كان يتعشق فنونهم

لهذا كان علينا إذا أردنا أن ننشىء الفن القوي أن نسلك سبيلاً من سبيلين : فإما أن نصبر على هؤلاء الفنانين المصريين من غير المثقفين حتى يرقوا وينضجوا فيحتلوا مكانتهم التي تؤهلهم الطبيعة لاحتلالها ويكون هذا أمراً طبيعياً لا يعترضه معترض ، وإما أن نحز نفوس المثقفين من أهل الفن عندنا ليتيقظوا من ثقافتهم وليعودوا إلى الطبع المصري ، وأظن أنه ليس من العسير على الإنسان أن يسترد نفسه ، وأن يسترجع أصله ، وأن يستعيد طبعه وأن يغسل نفسه مما لصق بها من الزيف

ها هي ذي مصر أمام الرسام ، وها هي ذي بيئاتها المختلفة ماثلة أمام عينيه بما فيها من ناس وحيوان ونبات وجماد ، وها هي ذي أخلاق أهليها وعاداتهم تناوش نفسه ما دام يعايش أهلها ويعاشرهم . أفلا يستطيع الرسام المصري إذن أن يقف وقفات كثيرة عند مظاهر كثيرة ومعان كثيرة من مظاهر الجمال ومعانيه في هذه البيئات المصرية المختلفة ؟ ! إنه يستطيع لو أنه فتح عينيه واستقبل الصور التي تتلقيانها بنفس مصرية . ولا ريب أن القارىء قد لحظ أن عقائد المصريين — مثلاً — لا تزال بعيدة عن التصوير المصري . فمن من المصريين رسم صوراً لقصة السيد البدوي ! وللسيد البدوي عند المصريين أقاصيص فيها مواقف تستحق الرسم والتصوير ؟ ومن من المصورين المصريين صور الحاوي المصري ؟ ومن منهم صور « شيخ الطريقة » ومن منهم صور « بطولة أحمس » ومن منهم صور « غزوة السودان » و « أهل الكهف » و « زفة العروسة » و « رقصة البدو » و « صيد الترسة » و « معركة في الأسكندرية » و « البحث عن أم الخلول » و « صانع القلل » و « عامل المحلة » و « نكتة رشيد » وما إلى ذلك من الموضوعات المصرية البحتة التي لو أخرجت في ألوانها المصرية الطبيعية الصحيحة لأرضت كل إحساس وكل فكر .

وها هي ذي مصر عند سمع الموسيقى : لماذا لا يغني أهل الصعيد هذه الألحان التي تصاغ في القاهرة ؟ ألأن لهم لهجة في الكلام غير لهجة القاهريين؟ كلا، فلهجات الكلام لم تكن يوماً حجاباً دون النغم . فها هي ذي الأوبرات الإيطالية تستبقى ألحانها وأنغامها كما صاغها ملحنوها ويستبدل بنظمها نظم انجليزي في انجلترا وفرنسي في فرنسا وألماني في ألمانيا فلا ينفر الانجليز ولا الفرنسيون ولا الألمان من الموسيقى الإيطالية في هذه الأوبرات مثلما ينفر أهل الصعيد من الموسيقى القاهرية ... فهل يدل هذا على شيء

أكثر من أن اعوجاجاً أصاب الذوق الفنى فى القاهرة فخرج به على الطبع المصرى إذ أراد التجديد؟ أولا يدل هذا على أن أصحاب التجديد قد انخدعوا فى تجديدهم إذ أرادوا أن يلاحقوا به تجديد سيد درويش وهم لا يذكرون أن موسيقاه كانت رجعة إلى الطبيعة الإنسانية وصحوة ارتجفت بها الروح المصرية . والدليل على ذلك أن ألحانه التى صور بها بيئات المصريين كانت تعبيراً صحيحاً صادقاً عن النفس المصرية فراجت بين المصريين رواجاً رائعاً ، ومنها مالا يزال يطن فى الأذن إلى اليوم مثل « طلعت يا ما احلى نورها الشمس الشموسة » و « مليحة جوى الجلل الجناوى » و « يا ولد عمى يا بوى » و « ياصلاة أم اسماعيل فى وسط عيالها » ...

ويحق علينا ما دمنا نرمى إلى إحقاق الحق أن ننصف الموسيقيين المصريين فنقرر أن الأصوات الطبيعية التى يمكن أن تنقل عن البيئة المصرية الطبيعية قليلة ، فليس فى مصر زوابع ولا أعاصير ولا أمطار ولا رياح ولا غابات تصفر فيها الريح وتزأر فيها الأسود ، ولا شىء من هذا الذى تنعم به البيئات الأخرى ، ولكن ليس معنى هذا أن بيئتنا المصرية مجدبة مما يوحى الموسيقى ، فإن فى هدوئها وتخافت أصواتها ورهبتها وجمالها وخفتها وجلالها ، وما فى مجتمعها وتاريخها وآمالها ما يصلح لتأليف أنصع الموضوعات الموسيقية المنشودة . ولا يتوقف ذلك إلا على شعور الموسيقيين المصريين ببيئتهم المصرية وما فيها .

ونحن الآن مع الأدباء أمام الحياة المصرية . وللأدب فى مصر مشكلتان لا مشكلة واحدة : أولاها مشكلة «الموضوع» التى تعرضنا لها فى الرسم والموسيقى، وأخراها مشكلة «اللغة» فنحن فى مصر نتكلم لغة ونكتب أخرى . ولغتانا على تقاربهما الشديد مختلفتان لا يمكن أن ينكر اختلافهما إنسان . وعلى أساس ما قررناه كان أقرب الأدب إلى طبع المصرى هو أقربه إلى لهجته وكلامه إذا عالج موضوعات من حياته كما يفعل الأديب المصرى الصادق محمود بيرم التونسى، فأدبه مستخلص من الحياة المصرية ، ومؤدى باللسان المصرى .

على أننا نستطيع أن نتصور اللغة العربية الفصحى ، وقد راجت بين المصريين إذا تعلموا القراءة والكتابة ، ومع هذا فإننا لن نستطيع أن نتصور أن هذا سيمحو ضرورة اتصال الأدب المصرى بالحياة المصرية . فالتساهل فى أمر اللغة لا يؤثر فى روح الأدب . وإن للمصريين ذوقاً وطبعاً إذا لم يظهرا فى الأدب المصرى كان أدباً عربياً أو غير عربى ، ولكنه على أى حال لن يكون أدباً مصرياً . وقد يحس القراء معى أن فى شعر الشاعر الفذ محمود حسن اسماعيل تحقيقاً لهذا الذى نرجوه . فهو وإن كان يكتب باللغة العربية الفصحى فإنه لا يطرق إلا موضوعات مصرية صحيحة ، ولا يؤديها إلا أداء مصرياً سليماً يلحظ فيه الذوق المصرى وإن لم يتقيد فيه باللفظ المصرى .

فإذا تركنا هذه الناحية الناعمة من الذوق المصرى وعرجنا على الأدب فى جوهره رأينا الأقلية من الكتاب والأدباء هم الذين يعالجون الموضوعات المصرية ، ورأينا هؤلاء الذين يبسطون للناس أدباً مصرياً صحيحاً متهمين بأنهم أدباء « شعبيون » بعد تحويل الوصف الشعبى من معنى المدح إلى معنى الذم

عزيز أحمد فهمى

من هنا ومن هناك

الدعاية فى ألمانيا

نشرت مجلة ذى انترنشنال نازى التى تصدر فى لندن مقالاً طريفاً عن الدعاية الألمانية رأينا أن نلخصه لقراء الرسالة ليلموا بنوع جديد من أنظمة النازى يشمل سائر بلاد العالم

فى ألمانيا نظام للدعاية واسع النطاق كثير الشعب والأنحاء حتى ليُعجز عن الوصف

ولا يقف هذا النظام على وكالة واحدة تقوم بهذا الغرض؛ ولكن الدعاية فى ألمانيا لها أقسام وإدارات مختلفة متصلة جميعها بوزارات الحكومة وإداراتها. وقد تمتد مراكزها إلى أقصى جهات المعمورة وتجتمع جميعها فى مركز واحد يدبر شئونها ويشرف عليها

ووزارة الدعاية فى ألمانيا يشرف عليها دكتور جوبلز ، ولها جيش من مراسلى الصحف فى جميع أنحاء العالم يدخلون فى عداد موظفى الحكومة ، وهى تشرف على ما لا يقل عن ثلثمائة جريدة فى مختلف الممالك . ولها مخبرون أكفاء يغذون تلك الصحف فى بلاد بجنوب أمريكا والشرق الأقصى . وقد أنشئت محطات عديدة للاسلكى لنقل الأخبار إليها من الجهات النائية بجزائر الهند الشرقية . وهى تسخر لأغراضها وكالات السياحة الألمانية وبواخر الريخ وتسيطر على جميع وسائل الدعاية

ويراقب قسم الدعاية الصحف الأجنبية فى مختلف بلاد العالم حتى إذا كتبت صحيفة فى أية جهة شيئاً لا يتفق وروح الدعاية الألمانية يصل إليها علمه فى الحال . وتُزاع التعليمات السرية على الصحف يومياً؛ وكل مخالفة لهذه التعليمات تعد خيانة

وأهم وكالة للدعاية العامة هى الوكالة الأجنبية للحزب الاشتراكى الوطنى وتتصل بالجمعيات الألمانية فى جميع أنحاء العالم ولا يقل عددها عن ثلاثين ألفاً ويشرف عليها أرنست بوهل الذى قضى أيام طفولته فى جنوب أفريقيا ، ولم يدخل ألمانيا إلا سنة ١٩٢٠ وهو فى السادسة عشرة من عمره

والألمان الذين يعيشون فى الخارج يجب أن يكونوا تحت تصرف القنصلية الألمانية فى البلاد التى يعيشون فيها ، ويتصلون بجمعيات النازى المحلية على الدوام ، وبذلك يكونون تحت تصرف الحكومة . وكل مخالفة لأوامر النازى قد تعرض الشخص للحرمان من الجنسية الألمانية ، وإلغاء تصريح السفر الذى منح له ، كما أنها تعرض أسرته للضغط والاضطهاد داخل ألمانيا

وهناك نظام خاص لتعليم هؤلاء الذين يقومون بالدعاية فى الجهات الأجنبية ، ففى ألمانيا مدرسة تحت إشراف دكتور روزنبرج، وأكاديمية فى ميونيخ يديرها كارل هوشوفز

وكل أستاذ ألمانى أو معلم يقبل الخدمة فى الخارج ، لا بد أن يقضى وقتاً فى الدراسة بهذه الأكاديمية . والطلبة الذين يسافرون إلى مناطق بعيدة عن ألمانيا يجب أن يلتحقوا بجماعة « الطلبة الألمان » فى تلك الجهات

وتوضع رقابة شديدة فى الموانئ على المؤلفات التى تصدر إلى البلاد الأجنبية أو التى ترد منها ، فلا يخرج منها كتاب يخالف مبادئ النازى فى شىء من الأشياء ، ولا تبيح للأدب المخالف للنازى الدخول إليها . وهذه الرقابة تشمل المسافرين على المراكب الألمانية كيفما كانت جنسيتهم

ولم تكتف الدعاية الألمانية بمراقبة القراء الألمان واتصالهم بالرأى العام فى الخارج ، فقد أصرت على سحب النسخة التى طبعت فى فرنسا من كتاب « كفاحى » لبعض كلمات علق بها على معاملة هتلر لفرنسا

وترتكب حوادث القتل والخطف فى سبيل الدعاية تحت إشراف الحكومة وبمعاونتها ؛ ومن أشهر تلك الحوادث خطف الصحفى اليهودى برتولد جاكوب ، ومقتل دكتور دولفوس

هل نحن مسوقون الى الهمجية ؟

تتضارب الأفكار فى العصر الحديث ، فهو عصر تطورت فيه شئون العالم ، واختلفت فيه المبادئ المقررة إلى درجة لم يعهد لها مثيل ! كل ما فيه جديد يدعو إلى إطالة التفكير ، فهل نحن مسوقون مع هذا إلى تحقيق آمال الإنسانية فى التقدم والرقى ، أم نحن مسوقون إلى الهمجية ؟

والمقال التالي ملخص عن ذي أنديان ريفيو ، التي تصدر في مدراس بقلم أستاذ بجامعة الهند ، وهو يبين وجهة من وجهات النظر في هذا الموضوع: «إذا كان معنى المدنية تقدم العالم ورفاهته، وتضحية الفرد في سبيل مصلحة المجموع؛ وإذا كان معنى المدنية ضبط النفس وكبح جماحها، فيجب علينا أن نقول إننا منذ الحرب العظمى نسير بخطى واسعة نحو الهمجية

فني مدى القرن التاسع عشر كانت آمالنا تمتد وتتسع ، حتى أصبحنا نعتقد أننا لسنا بعيدين عن عصر ذهبي عظيم ! فالعلوم تسير بخطى كبيرة نحو التقدم ، تاركة للانسان السيطرة على قوى الطبيعة المختلفة ؛ والديمقراطية تنشر لواءها على سائر بلاد العالم المتمدن ؛ والرأي العام يحترم في كل مكان ؛ والمثل العليا تقود الإنسان نحو التقدم في سائر أنحاء الحياة .

ولقد جاءت الحرب العظمى بعد ذلك بقواها المدمرة ، فشتتت العائلات ، وأزالت عن المرأة قناع العفة والحياء ، ولم يكن أحد ليفكر في هذه الحال إذ ذاك ، لانصراف الأمم جميعها إلى أمر واحد وهو كسب الحرب .

فبعد أن وضعت الحرب أوزارها أنشئت عصبة الأمم ، فطرب لها العالم وظن الناس أن العصر الذهبي المرموق قد ظهرت بشائره تحمل معها الأمن والإخلاص ، حيث يحل حكم العقل والعدالة في كل مكان ، وينصرف الخوف والجزع عن الأمم الضعيفة ، فتصبح في مأمن من اعتداء جاراتها القوية

ولكن تلك الأماني لم تلبث أن تقشعت ، وحل محلها ذلك التفكك في عرى الروابط العائلية والوشائج الوطنية . وحلت الأباحية محل العفة وضبط النفس ، وذهب الإخلاص والطهر من الرجل كما ذهبا عن المرأة ، وحل محلهما الطمع وإشباع الشهوات واختفت الرغبة في الزواج فراراً من تحمل أعباء الزوجية

إن هذا الانقياد للشرور وعدم الخضوع لقانون العقل والعرف يدلان على أن الهمجية تهددنا وتقترب منا يوماً عن يوم

ولقد ظهرت هذه الميول الوحشية في شؤوننا السياسية . لقد كانت الأمة تخجل أن تهاجم أمة أخرى قبل أن تمهد لذلك بأعذار يقبلها العقل، وكان الرأي العام يحسب له حساب

ولكن القاعدة المتبعة الآن تخالف ذلك كل المخالفة، فيكفي أن تكون الأمة راغبة في التوسع والرقي وتبوء مكانها تحت الشمس كما يقولون ، لتعتدي على استقلال جاراتها

لقد جاء زمن كان الواجب يقضي فيه على الأمة المحاربة أن تعلن الأمة الأخرى بأن تستعد لمحاربتها ، ولكن قد بطل كل ذلك في ضمير الأمم الآن . والرأي أن تأخذ عدوك على غرة وتسلط الهزيمة مباشرة عليه

ولم يعد في عرف الأمم الحاضرة ضرورة لحماية الأطفال والنساء من خطر الطيارات . وقد بطل العمل بالقوانين التي تمنع الاعتداء على المستشفيات وأماكن التعليم والعبادة . وأملت الوحشية على تلك القلوب المتحجرة أن الخسائر التي تحلها الطيارات بالنفوس البشرية عمل من أعمال الإنسانية حيث تقضي عليها في أمد قصير !

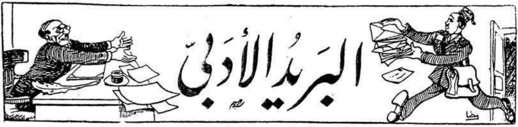
ولا يباح الآن للأمة الصغيرة أن تضع سياستها بنفسها ، ولكن الأمم القوية هي التي تضع لها السياسة التي تسير عليها . فإذا رفضت أن تعمل تحت إمرتها كان رفضها كافياً لتدميرها .

ولقد فقدت ثقة كل أمة بمقاصد جاراتها فلا ثقة اليوم إلا بالتسليح

إن ما انتهت إليه حال عصبة الأمم ، وما كان يوضع فيها من الآمال والمبادئ السامية التي أصبحت أثراً بعد عين ، لما يدعو إلى الأسف الشديد .

ولقد رأينا كيف يقضي على حقوق الفرد ويعتدي على حرية الرأي حتى أصبحت أسماء لا مسمى لها في بلاد كألمانيا وروسيا وإيطاليا، وأصبح كل نقد يوجه إلى هذه الحال يقابل بمنتهى الشك

وهكذا حيثما وجهنا النظر وجدنا المدنية تتدهور يوماً بعد يوم والعالم المضطرب يسير وسط هذه الزعازع كسفينة بغير سكان، يقودها ملاحون مخبولون نحو الهاوية التي ستدفعها إلى القاع .



١ – على هامش محاضرة حافظ عفيفي باشا

كلام حق ومنطق سديد؛ وآراء فى التربية والتعليم يندر أن نسمعها فى هذا البلد، لأن الجرأة فيه متقاعدة والصوت المخالف يرق لجفأة حين يجب الصراخ

سرد حافظ عفيفي باشا فى محاضرته (الجامعة الأمريكية ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٩) عيوب التعليم فى مصر، فأخذ فيما أخذ على الشباب انصرافهم إلى السياسة عن التحصيل، وقعودهم عن مواصلة الدرس والاطلاع بعد نيل الشهادة، وشغفهم بالتوظف وقلة « ثقافتهم المعنوية »، وفى رأى المحاضر أنه لا بد من إصلاح نظم التعليم . وفى رأيه أيضاً أن أساس الإصلاح إنما هو إعداد المدرس الصالح

وما أظن أحداً من أهل الفطنة والدراية يخالف حافظ عفيفي باشا فى تلك الآراء، بل أعرف نفراً من المفكرين المصريين يرونها؛ إلا أن قصة المدرس الصالح والمربى العارف لا تتم على الوجه المرضىّ ما دام أمر التدريس والتربية فى أيدى « أولئك الموظفين المخضرمين الذين نشأهم المستشار دنلوب على آلية التعليم حتى صارت فيهم عقيدة، وأخذهم بـ(روتين) (أى بجمود) النظام حتى أصبح لهم فطرة ... » كما قال الأستاذ أحمد حسن الزيات فى العدد السابق من الرسالة .

أطلبوا الشباب وانظروا إلى الدول الناشطة : إلى ألمانية وإيطالية وأمريكة الشمالية . أما سئمتم الخدَر والنعاس ؟!

٢ – حماية نفائس دار الآثار العربية

فى الرسالة رقم ٣٠٤ أخبرتك بأن المسيو فيت، وهو مدير دار الآثار العربية فى مصر أقبل على الإرسال بثمانمائة قطعة من نفائس الدار إلى باريس لتمد معرض الفن الإسلامى المزمع إقامته هنالك، وزدت أن وزارة المعارف وقفت دون ذلك .

ومما اتصل بى أن المسيو فيت لا يزال يسعى فى إخراج تلك النفائس من الدار . وقد بينت فى المقال السابق الأسباب التى من أجلها يتمنع خروجها امتناعاً . وحسب وزارة المعارف أن تتمسك بقانون دار الآثار . وحسبها أن تسأل المتحف المصرى هل يأذن فى خروج محفوظاته كلما قام معرض فى بلد من البلدان . ولا أحب أن أعود إلى التبيين والتدليل، لعلمى أن أصحاب الأمر فى وزارة المعارف يغضبون لخروج تلك النفائس غضبى لذلك، وأنهم يغارون عليها وبها يعتزون . أعلم هذا، ولذلك أسألهم أن يأمروا بإعادة القطع إلى الحيطان؛ إذ بعضها لا يزال فى الصناديق المجهزة للرحيل، وبعضها مطروح على الأرض ينتظر أن يُفصل فى أمره . رحم الله الفن ... !

هذا وما فاتنى أن أذكره لك فى المقال السابق أن طائفة من نفائس دار الآثار العربية ليست مما تملكه الدار . بل هى مودعة لديها من جانب وزارة الأوقاف . وإنى أعلم أيضاً أن على رأس وزارة الأوقاف من يكره أن يتجوز فى مثل هذا .

٣ – الاعتراف بجهول الفلسفة العربية

فى المجلة الفرنسية الرفيعة Les Cahiers du Sud الخارجة فى مرسيلية (عدد فبراير سنة ١٩٣٩ ص ١٨٥ – ١٨٩) أن الأب هكتور تيرى Hector Théry من أساتذة المعهد الكاثوليكى فى باريس ألقى محاضرات فى الفلسفة العربية واليهودية للعصور الوسطى؛ ومما قاله :

« إن العرب فى ذلك العهد يسبقون اللاتين بمئات من السنين؛ ومذاهبهم تنشأ وتتحول على خلاف المذهب المسيحى . بل لنا أن نتحدث عن غلبات الإسلام المعنوية للفكر اللاتينى . فإن العرب الأرسطوطاليين فتحوا الأذهان فتحاً بالرغم من الحروب

الصليبية (يعنى ماوراءها من الكراهية والبغض) فانبثت كتبهم فيما يلى ديارهم ، فهزُّوا بذلك من عقولنا الراكدة وفرضوا الفكر اليونانى على اللاتين بعد أن صفَّوه وذهبوا به حتى الشطط . وهكذا ترى أرسطو المعرب أو قل العرب الأرسطوطاليين يعينون على تفسير العقيدة المسيحية ... وإنه ينبغى لنا أن نصحح نظراتنا التاريخية (يعنى الاعتراف بتأثير العرب فى التفكير المسيحى)

« وما أقرب الفلسفة العربيـة من الإنسانى ! والدليل أن أصولها تجاوز مبادئ الإسلام والمسيحية لتصير إلى الفلسفة بمعناها الأعم . وفى هذه الفلسفة من الجلال Grandeur ما جعل شراح العقيدة المسيحية يقعون تحت سلطانها .. إنمـا العرب أساتذة المدرسة الكبرى للفلسفة ! »

٤ — والمخرج الآخر ؟

فى الرسالة رقم ٣٠٥ عجبت كيف رفضت شركة مصر للتمثيل والسينما تجديد عقد الأستاذ نيازى مصطفى المخرج الحاذق . وقد فطن صاحب الأمر الأعلى لتلك الشركة أن استبعاد الأستاذ نيازى ليس من الحكمة فى شىء ، فما أبطأ أن أمر بتجديد العقد

وإذا الشىء بالشىء ذكر فهل نسأل من بأيديهم أمر الفرقة القومية : متى يُيسَّر للأستاذ زكى طليمات أن يسترد عمله ، وهو المخرج المصرى ، بل المخرج الوافر الخبرة الكثير الفن ؟

حتَّام يستبعد أهل الكفاية فى هذا البلد إذا بدت منهم الدراية ؟

بشر فارس

احياء ذكرى عبده الحامولى

عقد معالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف اجتماعاً للنظر فى وضع برنامج للاحتفال بذكرى الفنان المرحوم « عبده الحامولى » . وقد شهد هذا الاجتماع معالى مصطفى عبد الرازق بك ومعالى جعفر والى باشا وخليـل مطران بك ومصطفى بك رضا والأستاذ محمد عبد الوهاب والأستاذ زكريا أحمد وغيرهم من رجال الفن والأدب

وقد بدأ معالى الوزير الاجتماع بإشارته إلى مافى إحياء ذكرى العظماء من تربية الشعب على الطموح ، وتذوق نواحى العظمة فى الغابرين من رجاله ، فضلاً عما فى ذلك من توجيه القلوب إلى تقدير الفن ومحبته

وقد استقر الرأى على تأليف لجنتين فرعيتين إحداها من الأدباء، والثانية من الموسيقيين ، لدراسة النواحى الأدبية والفنية فى حياة «عبده الحامولى» وعصره ثم وضع برنامج للاحتفال بذكراه

ثم ختم معالى الوزير الاجتماع بقوله : إن وزارة المعارف ستقوم فى مناسبات مختلفة باحياء ذكرى العظماء الذين مروا فى تاريخ مصر فى مائة السنة الأخيرة

المكتب الفنى فى وزارة المعارف

تفكر وزارة المعارف فى إنشاء مكتب فنى يضم طائفة ممتازة من أدباء المدرسين ، ليكون صلة بين وزارة المعارف والأدب الحر ، ويكون له الرأى فى الكتب العربية التى تختار الوزارة أن تكون فى أيدى تلاميذ المدارس . وهى فكرة نافعة تحقق كثيراً مما دعت إليه الرسالة فى مناسبات عدة . على أن نجاح هذا المشروع مشروط بحسن اختيار الوزارة لأعضاء هذا المكتب ، بحيث لا يضم إلا الممتازين حقاً من المدرسين الأدباء ؛ وإنهم لكثيرون فى وزارة المعارف ، ينقصهم حسن الرعاية ليكونوا من عوامل الإصلاح فى الأدب الجديد

كتاب منتقى الأخبار

جاء فى كتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى للأساتذة المحترمين : أحمد الأسكندرى . أحمد أمين . على الجارم . عبد العزيز البشرى . أحمد ضيف . فى الصفحة ٢٥٨ من الجزء الثانى « ترجمة ابن تيمية هو أحمد بن عبد الحليم ولد بحران سنة ٦٦١ هـ وقدم مع والده إلى دمشق وهو صغير ... إلى أن قالوا وبلغت مصنفاته ثلثمائة مجلد أكثرها فى التفسير والفقه والأصول والرد على الفلاسفة والمبتدعة وأشهر هذه الكتب منتقى الأخبار الخ »

وكتاب منتقى الأخبار مشهور متداول معروف بين الناس وهو فى أحاديث الأحكام ونسبته لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية المشهور بتقى الدين شيخ الإسلام خطأ عظيم ولا سيما من مثل رجال هم من أعلام العلم والأدب فى هذا العصر . وإنى مع احترامى لمقامهم لا أرضى لهم هذا؛ ولو أنه صدر عن أناس لا شأن لهم لما

نبهت عليه ولما أنبهت له ، وكتاب المفصل متداول بين الطلبة وغيرهم فلا يصح أن تبقى غلطة كهذه شائعة فيه بدون تنبيه

أما صاحب منتقى الأخبار فهو الشيخ مجد الدين عبد السلام ابن تيمية وهو جد أحمد بن تيمية المشهور المترجم له في كتاب المفصل ، وقد شرح كتاب منتقى الأخبار الشوكاني وأسماه نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار وطبع عدة مرات وكذلك منتقى الأخبار طبع منفرداً

ونبه الشوكاني في أول شرحه على الفرق بين مجد الدين عبد السلام بن تيمية صاحب منتقى الأخبار وبين أحمد بن تيمية المشهور بشيخ الإسلام ، فقال في أول كتابه : « وسميت هذا الشرح بنيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ... إلى أن قال : وقبل الشروع في شرح كلام المصنف نذكر ترجمته على سبيل الاختصار فنقول : هو الشيخ الإمام علامة عصره المجتهد المطلق أبو البركات مجد الدين عبد السلام المعروف بابن تيمية قال الذهبي في النبلاء ولد سنة تسعين وخمسمائة تقريباً ... قال : وقد يلتبس على من لا معرفة له بأحوال الناس صاحب الترجمة بحفيده شيخ الإسلام تقي الدين احمد بن عبد الحليم شيخ ابن القيم الذي له المقالات التي طال بينه وبين أهل عصره فيها الخصام وأخرج من مصر . وليس الأمر كذلك . . الخ »

هذا كلام العلامة الشوكاني وهو جلي ظاهر لا يحتاج إلى تعليق

وقال صاحب كشف الظنون : « المنتقى في الأحكام لمجد الدين ابن تيمية شرحه السراج عمر بن الملتن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ ولم يكمله ... الخ »

ابراهيم يس القطان

هل تتكرر ما لنفي النفي ؟

ذكر ابن عقيل في شرح ألفية ابن مالك أنه يشترط في عمل ما عمل ليس ألا تكون مكررة. فإن تكررت بطل عملها، نحو – ما ما زيد قائم – فالأولى نافية ، والثانية نفت النفي ، فصار الكلام إثباتاً .

وكان على ابن عقيل قبل أن يشترط ذلك الشرط الذي انفرد به أن ينظر : هل تجيز العربية هذا الأسلوب أو لا تجيزه ؟ وإني لا أذكر أنه مر علي في كلام العرب منظومه ومنثوره مثل ذلك الاستعمال ، وإنما يتكرر حرف النفي فيها للتأكيد ، مثل قول الشاعر في تكرار ما :

لا يُنسك الأسى تأسياً فما ... ما من حمام أحدٌ معتصما

ومثل قول الآخر في تكرار لا :

لا لا أبوح بحب بثنة إنها ... أخذت علي مواثقاً وعهودا

ولست أدري لم تقول العرب في الإثبات — ما ما زيد قائم — ولا تقول من أول الأمر — زيد قائم — وقد قامت لغتهم على مراعاة الدقة في الأسلوب ، بحيث لا يزيدون فيها ولا ينقصون إلا لسبب من الأسباب .

قال بعض طلابي في الدرس : إنه يجوز أن يكون أصل ذلك الأسلوب أن شخصاً قال (ما زيد قائم) فترد عليه قوله بقولك له (ما ما زيد قائم)

فقلت له : إني إذا رددت عليه بذلك أكون مخطئاً ، لأنه حينئذ يكون منكراً لقيام زيد ، فيجب أن أرد عليه بكلام مثبت مؤكد ، فأقول له (إن زيداً قائم) ولا يصح أن أرد عليه بذلك النفي المتكرر غير المؤكد ، وهذا أمر معروف في علم المعاني

وقال بعض الشيوخ: إن ذلك الأسلوب لم يرد مثله عن العرب، ولكنه يصح لنا أن نقوله، وهذا يكفي في تسويغ كلام ابن عقيل

فقلت له : إن مثل هذا قد مضى زمنه ، ولا يمكن أن يقبله الآن أحد منا ، لأن النحو موضوع لكلام العرب لا لكلامنا

وقد ورد أسلوب نفي النفي في لغة العرب على نحو آخر مقبول يدخل فيه الاستفهام الإنكاري على النفي لأجل نفيه ، لأن الاستفهام الإنكاري يفيد النفي ، ونفي النفي إثبات ، وهذا كما في قوله تعالى : (أليس الله بكاف عبده) فهو بمعنى قولنا: — الله كاف عبده — ولكنه يفيد ذلك على أبلغ وجه وأحسن أسلوب. وقد قام الإنكار فيه مقام التأكيد اللازم في الرد على إنكارهم، بل هو أقوى من التأكيد في اقتلاع الإنكار من أنفسهم. ومن ذلك الأسلوب أيضاً قول الشاعر:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

وقد قيل إنه من أجل هذا كان أمدح بيت قالته العرب ، ولا شك أن الفرق كبير بينه وبين ذلك الأسلوب الذي أجازه ابن عقيل ، ومع هذا نحب أن نشرك قراء الرسالة في أمره ، فلعل بعضهم يحفظ عن العرب شاهداً له

عبد المتعال الصعيدي

وفاة السيد عبد الرحمن الإمامي

فجع المغرب الأقصى في الأيام الأخيرة بفجيعة كان لها وقع كبير في نفوس الشعب المغربي ألا وهي موت أحد علمائه الكبار السيد عبد الرحمن بن القرشي الإمامي في العشرين من المحرم، فكانت المصيبة التي ذهل الكل لها. وقد كان الفقيد رحمه الله من الساهرين على المصلحة العامة والمناضلين عنها مضحياً في ذلك بكل نفيس.

تقلب الفقيد في وظائف شتى فكان قاضياً مثال العدل والنزاهة ثم كان وزيراً لم يشهد المغرب قط مثله وزيراً صارماً

وقد قنع الفقيد رحمة الله عليه بما في يديه فانقطع لعبادة الله ونشر العلم تاركاً الدنيا ولم يخلف فيها ديناراً ولا درهما

وتقديراً لهذه الحياة العامرة بجلائل الأعمال قامت نخبة ممتازة من شباب جامعة القرويين وأسست لجنة دعت الناس إلى حفلة تأبين للفقيد في اليوم الأربعين من وفاته، فكان الحفل رائعاً. ووافق يوم الأربعين يوم الخميس ٢٩ صفر سنة ١٣٥٨ وكان يوماً مشهوداً تجلت فيه العواطف المغربية حزينة كئيبة. وقد اختارت اللجنة أن يكون محل التأبين الدار التي كان يقطنها الفقيد آخر حياته

وقد افتتح الأستاذ احمد الشبيهي الحفلة مرحباً بالحضور، ثم أعقب ذلك آيات من الذكر الحكيم فسكوت مقدار قراءة الفاتحة على روح الفقيد، فمقال الأستاذ الرئيس أتى فيه على حياة الفقيد بإسهاب، فمقال لوزير المعارف الأستاذ محمد الحجوي، فقصيدة لقاضي مدينة سكات احمد سكيرج. فقصيدة لقائد قبائل أولاد جامع محمد بوعشرين، فقصيدة لعيبة سمو الخليفة السلطاني بفاس الأستاذ محمد غريط، فمقال للأستاذ بجامعة القرويين العباس المراني، فمقال لمفتي سلا أبي بكر زنيبر، فمقال للكاتب بالبلاط السلطاني العربي ابن سودة، فمقال لعالم مدينة مراكش محمد بن الموقت. فخطب وقصائد كثيرة للنخبة الممتازة من طلبة الجامعة

«فاس» اللجنة الفرعية

حول تشبيه

سأل سائل من كرام العراقيين في الموصل عن وجه الشبه في تشبيه هجرة الأميرة فوزية إلى طهران بهجرة الرسول الكريم إلى المدينة في الصفحة الثالثة من عددنا الهجري الممتاز. وجوابنا أن هجرة الرسول كانت عاقبتها قوة الإسلام وعزة المسلمين ووحدة العرب، وهجرة الأميرة نعتقد أنها قبل كل شيء في سبيل الله وستكون عقباها المؤاخاة بين دولتين من أقوى دول الإسلام فرق بينهما بعد الدار واختلاف اللغة والمذهب؛ وفي هذه المؤاخاة ضمان لحسن الجوار بين إيران والعراق، وتوثيق لصلات التعاون بين المسلمين والعرب. والتشبيه بعد ذلك كله كما يقول البيانيون إلحاق ناقص بكامل. فلا بد أن يكون وجه الشبه في المشبه به أقوى منه في المشبه ولو ادعاء، وإلا عدل عن التشبيه إلى المشابهة ا . ع

تصويب

وقع في المقال الأخير للأستاذ الكبير العقاد خطآن مطبعيان نصححهما معتذرين:

في صفحة ٨٨٩ سطر ٢٢ جمهرة الشعراء والصواب: جمهرة القراء

وفي صفحة ٨٩٧ سطر ٢٦ يقبضون على كل زمان والصواب: على كل زمام

ذكرى صديق

دار الفلك دورتين منذ أن ضرب القدر بينك وبيننا يا رافعي بحجاب لا نستطيع أن نظهره ولا تستطيع أنت . . . دار الفلك دورتين، والحياة ما تنفك هي الحياة، والناس من حولها فَراش يتهافت على بريق من شعاعها يخطف الأبصار، ويصرف القلوب إلا عن نوازع العيش وحب البقاء، وأنا على حَيْد الطريق أتشوَّف، وآسى على قلوب رانت عليها ظلماء الحياة فما تبصر، غير قلبي . . غير قلبي وهو قد ضُمّ على هوى لك فيه، هو به ضنين، فلا يكاد ينسى أنك أنت يا رافعي . . .

يا عجباً! هذه الدار على قسوتها لذة يهفو نحوها كل قلب؛ وهذه الدنيا على ما فيها من بلاء جميلة تصبو إليها كل نفس؛ وهذه الحياة على ما تجد فيها من عناء جذابة يبسم لها كل إنسان! تلك سنة الخلق

لقد تواريت عنا ليقول فيك التاريخ كلمته، وخلصت إلى نفسك عَلَّ القلوب تنتزع عنها سخائمها؛ ولكن ماذا كان ؟

إنه لا يحزنني ألا أجد النصف البريء، فما الخلد مرتبة تؤخذ عن شفاه الناس؛ وليس يؤلمني أن أرى طائفة من الناس تضطغن عليك وتذهب تريد أن تنال منك ميتاً بعض ما عجزت عنه وأنت حي، فالتاريخ من ورائهم له لسان صدق

ما الإيمان، وما العقيدة، وما الصبر، وما الدأب، وما النشاط وما الحزم، وما الجد، وما السمو، وما الكرم، وما الوفاء، وما ... وما ... ؟ أشياء كنت تعرفها وتدين بها وترى فيها الغاية العظمى والمثل الأعلى. فرحمة الله عليك

كامل محمود حبيب



حيــــاة الرافعى

تقدير ونقد

للأستاذ أبو الفتوح رضوان

كتاب « حياة الرافعى » للأستاذ محمد سعيد العريان من أجدر الكتب الحديثة باحتفاء الأدباء ، وأحقها بأن يتناولها القارئ تناول تمعن ودرس ، وأن يقول الناقد فيه كلمة تضعه موضعه بين كتب العربية . « فحياة الرافعى » كتاب فريد فى المكتبة العربية ليس له فيها شبيه ولم يُنسج على منوال سابق . وذلك لأن فن التراجم لم يستقم لأى من كتاب العربية حتى الآن .

نعم إن فى العربية كتباً فيها تراجم لشعراء وأدباء طالت أو قصرت لكنها ليست من ذلك فى شىء ، إن هى إلا ذكر بعض أخبار الشاعر ونوادره أو بعض ما اتفق له مما يكون بين الإنسان وبين معاصريه . وقد تكون غالبية هذه الأخبار ملفقة مزورة صنعها الرواة إثباتاً لأمر يريدون إثباته أو تعالماً على غيرهم بأخبار الشعراء؛ أما الترجمة التى يقصد بها إلى تصوير المؤثرات التى خلقت أدب الأديب ووجهت شعر الشاعر ولونت فلسفة الفيلسوف ، فليس لها وجود فى العربية قبل « حياة الرافعى » . ومن هنا وجب أن يحتفى الأدباء بهذا الكتاب إذ كثيراً ما تموت فنون من الأدب لأنها وجدت فلم يلتفت إليها أحد . فإذا كان أدب الرافعى فصلاً منقطع النظير فى الأدب العربى ، فكتاب سعيد العريان عن الرافعى كذلك فصل منقطع النظير

والكتاب حقيق بأن يُحتفى به أيضاً لأنه عن الرافعى الذى أضاف إلى العربية ثروة ضخمة من المعانى والأساليب والبيان والفن ، ثم عقه أدباء عصره فما كان أحد منهم ينظر إليه أو إلى أثر من آثاره إلا بعين مطروفة . ذلك فى حياته ، أما بعد وفاته فرحم الله أهل الوفاء . ولقد كتب أحدهم أخيراً مقالة عن أثر المرأة فى أدباء العصر ، فذكر من شاء إلا الرافعى ، مع أن رسالة حزن أو سحابة حمراء أو ورقة ورد واحدة كافية لأن يضعه الإنصاف المزعوم فى مقدمة من ذكر

وثمة ميزة أخرى لهذا الكتاب ، وهى أنه تاريخ حافل صحيح للأدب العربى فى أحدث أطواره . يكشف بجلاء عن كثير من الحوادث التى أثرت فيه ووجهته ، ويوضح حوادث أدبية هامة مرت على أعين قراء العربيـة دون أن يتبينوا حقيقة دواعيها ، ولم يأخذوها على وجهها الصحيح . ثم هو تفسير لا بد منه لأدب الرافعى عامة ولعيون كتبه خاصة لا بد لفهمها من قراءة فصوله

ولقد قرأت « حياة الرافعى » منجمة على صفحات الرسالة ، ثم قرأتها مجموعة فى الكتاب ، فكان لى فيها بعض الرأى ، أحببت أن أبديه فى هذه الكلمة وفاء للرافعى ، وتقديراً لعمل أحد أولئك الشبان الذين يحسنون ويجيدون ثم يضيع إحسانهم وإجادتهم وسط دوى الأسماء الضخمة فى هذا البلد

ولقد بينت فيما سبق قيمة الكتاب من حيث هو كتاب . على أن فيه حسنات أخرى كثيرة لو ذهب القارئ المتمعن يحصيها لاستغرقت مقالة على حدة. ففى الكتاب تمحيص للحوادث دقيق، وفيه اتزان ونزاهة فى الحكم ، وفيه لطف فى العرض ، وفيه أسلوب مشرق لا يستغرب من أحد أصحاب الإمام الرافعى ، وفيه ما يضطر القارئ الدارس إلى الالتفات والوقوف

على أن فى الكتاب بعض ما كان ينبغى أن يسلم منه ، وهذا ما نحب أن ننبه إليه ، فإن جودة العمل محسوبة عليه فى ميزان النقد ، والجمال المفرط يظهر أبسط القبح ، وأشد ما تكون الذبابة إيلاماً أن تقف على وجه حسن

ففى الكتاب بعض هنات فى الترتيب والتبويب ، أتت من أن المؤلف النابه كتب مادة كتابه مقالات فى أول الأمر ، ثم لما

عنّ له أن يجمع تاريخه مسلسلاً فى كتاب تقيد بترتيبها فى المقالات فكان فى بعض فصول الـكتاب ما هو قلق فى موضعه يحتاج إلى تقديم أو تأخير . فما موضع فصل « بين أهله » بين فصلى « شعراء عصره » و « من الشعر إلى الـكتابة » ؟ أليس موضعه الطبيعى بعد « فى الوظيفة » حتى تتساوق فصول الرافعى الأديب ؟ والحديث عن الرافعى الشاعر موزع بين فصول عديدة متفرقة ولو جمعت كلها بعضها إلى بعض لـكان أجدى على وحدة الـكتاب . وفصل « شعراء عصره » هو أشبه بفصل « فى النقد » وقد نبه المؤلف إلى ذلك، فأشار إليه عند ما بدأ يتحدث عن الرافعى الناقد، وفصل « فى النقد » مجزأ غير متتابع لأنه نشر فى الـكتاب كما كان فى المقالات ولم يدمج بعضه فى بعض، وفى أوائل الفصول كثير من وصل ما انقطع كان ضرورياً فى المقالات المتباعدة وهو فى الـكتاب المتلاحق تعطيل للقارئ ومضايقة له ، وأشد ما يظهر ذلك فى فصل « فى النقد » ، وفى الـكتاب بعض تعبيرات لا تتفق مع أسلوب كتاب كأن يقال : « وهذا له موضع غير هـذا المقال » مع أن الـكتاب لا يكون فيه مقالات وإنما يكون فيه فصول ، ولو لم يتقيد المؤلف بمقالاته فى الرسالة ذلك التقيد الشديد لقال : « وهذا له موضع فى غير هذا المقام » أو فى « غير هذا الفصل »

وفى الـكتاب بعض الآراء والحقائق تستوقف نظر القارئ المتمعن ، نشير إليها على حسب ترتيب ورودها فى الـكتاب

فى ص ١٣ إشارة إلى حارة سيدى سالم قال عنها المؤلف إنها « حارة ضيقة أوى إليها السيد البدوى أول ما هبط إلى طنطا منذ ألف سنة » . وقد كان قدوم السيد إلى طنطا فى سنة ٦٣٤ للهجرة أى منذ ٧٢٤ سنة فقط . وليس هذا من صلب الـكتاب ولـكنه مما يحسن تصحيحه

وفى ص ١٩ يقول المؤلف إن الرافعى « كان بلغته ولهجته كأنه لم يقدم من سورية إلا منذ قريب » وهو قول لا أظن الأستاذ يعنى به ما يفهمه القارئ منه ، فإن لهجة الرافعى — كما سمعناه يتحدث — لم يكن فيها أى أثر للهجة السورية . وكل ما يستغرب منها هى تلك النغمة الحادة التى تشبه الصراخ ، والتى أشار المؤلف إلى أنها من آثار ذلك المرض الذى أصابه فى شبابه ، فيا حبذا لو أعاد الأستاذ تحقيق هذه النقطة بالرجوع إلى تصوره وهو أعلم بها على كل حال .

وأسند المؤلف النابه فـكرة الحب عند الرافعى إلى ما قرأ من أشعار العذريين من شباب العرب . فهل لم يقرأ الرافعى غير أشعار العذريين مع كثرة ما تناول من دواوين الشعراء . ولماذا لم يتأثر بشعراء « الأغانى » وقد قرر الأستاذ أنه كان دائم النظر فى هذا الـكتاب وفيه من الشعر والأخبار ما فيه . أليس الأجدر أن يسند ذلك إلى نشأته الدينية التى أشار إليها المؤلف (ص٢٢) وإلى تقاليد أسرته وإلى أنه نشأ تبعاً لـكل ذلك «عفيف النظر والشفة واللسان»

ثم ألا يرى المؤلف معى أن عدم شهرة الرافعى بين عامة القراء ليست راجعة إلى أناته وشدة تأنقه فيما يكتب وما ترتب على ذلك من عدم إكثاره من النشر فى الصحف، بقدر ما ترجع إلى بعده عن تملق الجمهور واحتفاظه بأرستقراطية أدبه ، وأنه فضل لقرائه ولنفسه أن يرتفعوا هم إليه على أن ينزل هو إليهم ، كما أظن أنى قرأت له فى بعض أحاديثه من زمن بعيد .

(البقية فى العدد القادم) **أبو الفتوح رضوان**

الغدد والحياة

الغدد هى مصدر القوة والشباب الدائم . والأطباء فى كل العالم يهتمون بالغدد ويصفون لها المقويات والأدوية التى تساعدها على المحافظة على جسم الإنسان

إن سر الشباب وسر القوة والحيوية فى الجسم هى فى هذه الغدد التى تفرز الهرمونات وتجعل الإنسان نشيطاً قوياً خصباً

إن أقراص فيدا — جلاند تحضير معامل إلن وهنبريس فى لندن هى أفضل علاج مضمون لتقوية الغدد — خذ هذه الأقراص حسب التعليمات داخل كل زجاجة فتستفيد فائدة عظيمة وتعود لك قوتك ونشاطك .